جامعة الأزهر بالمنصورة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

يشرف على تحريرها

الأستاذ الدكتور
على البدرى
عميد الكلية

الدكتور
محمد أبو زيد الأمير
وكيل الكلية

العدد الثاني عشر

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طلائع النقد العربى الحديث

الأستاذ الدكتور

على البدرى حسين

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

والعميد الأسبق لكلية الدراسات الإسلامية

والعربية بالقاهرة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة
الرقم العام:
الرقم الخاص:

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المدارس الحديثة فى النقد العربى

مدرسة الديوان ـ أعلامها ، جهودها

يتغنى الناس دائما بأشعار الجاهلية والإسلام وبنى أمية والعباسيين فى نقد الأدب الحديث وفى كل عصور الأدب ، تاريخه ونصوصه ، وقد اعتمدت النهضة الأدبية الحديثة على أشعار القدماء ونقدهم ، رقام الرواد الأوائل فى النهضة يعتمدون على تراثنا الأدبى فى روائعه وملامحه فنهضوا به بعد جمود طويل .

وكان فى طليعة هؤلاء الأعلام البارودى وشوقى وحافظ ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم وغيرهم .

والذوق الأدبى السليم لابد من اعتماده على تذوق القدماء للشعر العربى . فاللغة واحدة والشعر واحد والعصور متتابعة .

ودعت حركة النهضة الأدبية الحديثة إلى الاطلاع على النقد الغربى الصافى فى مختلف بلاد الغرب للاستفادة منه .

وكان فى طليعة النقاد العرب : العقاد ، وعبد الرحمن شكرى ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وطه حسين وآخرون .

ومن أهم كتب المازنى فى النقد الحديث : ١- الشعر غاياته ومذاهبه ، ٢- حافظ إبراهيم وغيرهما .

أما العقاد فموسوعة علمية وأدبية نادرة ، له من المصنفات النادرة شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، واللغة الشاعرة ، وساعات بين الكتب ، وأكثر من ثمانين مؤلفا فى الأدب والنقد والسيرة والتراث .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما شكرى فقد ذكر آراءه النقدية فى مقدمة دواوينه .

وركز رواد النهضة الأدبية الحديثة اهتمامهم على الجانب الإنسانى فى الشعر وبخاصة ، صدق العاطفة وصدق المشاعر ، وإبراز الجانب الشخصى للأديب .

ووجهوا نقدا لاذعا إلى التقليديين الذين يقلدون القدماء تماما من أمثال شوقى وحافظ والرافعى والمنفلوطى ، واتهموهم بالتقصير فى الجانب الإنسانى ، ولكن نقدهم لهؤلاء قد ابتعد عن الصواب أحيانا ، وهذا ما أهاج شوقى أمير الشعراء على العقاد فدبت بينهما عداوة قاسية ما أنهاها إلا الموت ، يقول شوقى فى رثاء حافظ سنة ١٩٣٢ م معرضا بجماعة العقاد :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى ... يا منصف الموتى من الأحياء
ووددت لو أنى فداك من الردى ... والجاهلون الحاقدون فدائى [٢]
الناطقون عن الضغينة والأذى ... والموغرو والموتى على الأحياء
من كل هدام ويبنى مجده ... بكرائم الأنقاض والأشلاء
ما حطموك وإنما بك حطموا ... من ذا يحطم رفرف الجوزاء
بالأمس قد حليتنى بقصيدة ... غراء تحفظ كاليد البيضاء
غيظ الحسود لها وقمت بشكرها ... وكما علمت مودتى ووفائى
قلم جرى الحقب الطوال فما جرى ... يوما بفاحشة ولا بهجاء

---

[٢] مأخوذ من قول المتنبى لسيف الدولة :

تطيع الحاسدين وأنت مرء ... جعلت فداءه وهم فدائى
وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جددت أسلوب الوليد ولفظه ... وأتيت للدنيا بسحر الطائى
وجريت فى طلب الجديد إلى المدى ... حتى اقترنت بصاحب البؤساء
رتب الشجاعة فى الرجال جلائل ... وأجلهن شجاعة الآراء
كم ضقت ذرعا بالحياة وكيدها ... وهتفت بالشكوى من الطبراء
خلفت فى الدنيا بيانا خالدا ... وتركت أجيال من الأبناء
وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل ... للدهر إنصاف وحسن جزاء

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبد الرحمن شكرى

نظراته النقدية :

يعتبر عبد الرحمن شكرى فى صف النقاد الأوائل الذين قـلمت على جهودهم النهضة الأدبية الحديثة يقول عنه العقاد :

لم يسبقه أحد فيما أذكر إلى تطبيق البلاغة النفسية المستمدة مـن أدب الغرب على ما يقرؤه من شعر الفحول فى اللغة العربية ،ولعله أول من تحدث عن الفرق بين تصوير الخيال .

وتصوير الوهم وهما ملتبسان حتى عند النقاد الغربيين .

لم يكن بد من الاستماع إلى شكرى وهو يقرأ القصيدة العربيـة أو الأوروبية ويعلق عليها بيتا بيتا . كان يتناول الديوان أو الكتـاب أو المقال فيجيل بصره فيه ، ثم يفرغ منه ومن وزنه وتقديره كمـا يفرغ الصيرفى البصير من تقدير الجوهرة بعد لمحة مـن بصـره ولمسة من يده [1] . فإذا ما قرأه ناقد بعد ذلك لم يصل إلى أفضـل مما فاه به شكرى فى جلسة واحدة .

كان عبد الرحمن شكرى يرى أن الشعر ضرورة من ضـرورات الحياة . ويقول : لو كانت الحياة شجرة لكان الشعر طائرها ، وكـل حى شاعر بقدر ما يحس من الجمال فى الأشياء . يقول :

وإنما العشر تصويـر وتذكـرة ومتعـة وخيـال غـير خـوان
وإنما الشعر إحساس بما خفقـت لـه القلـوب كـأقدار وحدثـان
من كل معنى يروع الفهم طائلـه معنى من الجان فى لفظ من الجان

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، عباس محمود العقاد ص ٤٩ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالشعراء عند شكرى مرآة الحياة فى صدق لا تكلف فيه ولا تصنع . فالشعر يعكس مباهج الحياة كما يصور مساوئها ، وشرها وخيرها . ينقل الشاعر هذه المشاعر كما يخفق بها قلبه تجاه الأحداث والالام .

وأصول الشعر عنده ثلاثة : العاطفة والخيال والذوق السليم . وعنها تتكون أبلغ الصور والمضامين .

العاطفة الشعرية :

يقول شكرى : والعاطفة هى الأساس الذى يقوم عليه الشعر ، والشعر ما أشعرك وجعلك تحس عواطف النفس الإنسانية إحساسا مؤثرا لا ما كان لغزا منطقيا . وليس الشعر خيالات فاسدة . ولا مغالطات عقيمة .

يقول : وبعض الأدباء يهذى بالشعر الاجتماعى ، وهو شعر المناسبات ويراه شكرى خارجا عن أصول الشعر . وهذه المناسبات كافتتاح مدرسة أو مستشفى أو مصنع ، أو مطفأة حريق ، أو زيارة الحاكم ، أو حفلة ما ، أو ما شاكل ذلك .

يقول : وليس أدل على فوضى الأدب وفساد ذوق الجمهور من مثل هذا الهراء [1] . والشاعر الفذ هو الذى يخلط شعره بشعور القارئ والسامع ، وعواطفه بعواطف الآخرين .

وقلب الشاعر عند شكرى مرآة الكون ، ترى فيه العواطف الشريفة والخسيسة ، البؤس والشقاء والهناء والنعيم ، وغيرها ،

---

[1] الديوان لعبد الرحمن شكرى ٢/٧ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ثم فقد ابتعد العقاد وشكرى والمازنى عن قصور الحكم على حين صار شوقى شاعر الأمير وحافظ شاعر زعيم الأمة ، وعلى الرغم من ذلك فقد ذاق الجميع مرارة الأيام والليالى .

الخيال :

الخيال عند شكرى ضرورى وملازم للعاطفة فى الشعر ، والخيال روح القصيدة وموضوعها وخواطرها وليس الخيال مقصورا على التشبيه والاستعارة والكناية كما قد يتصور .

وقيمة الصورة البيانية تبدو فى إثارة الذكرى والآلام والآمال ونحوها من عواطف النفس ولا تراد الصور البيانية لذاتها ، وإنما تراد لعلاقتها بالنفس الإنسانية . والخيال كل ما يتخيله الشاعر ويصفه من شرح عواطف النفس ، وحالتها ، والموضوعات والبواعث الشعرية وتباينها .

وهذا كله يحتاج إلى خيال واسع ، والصور البيانية إنما تراد لتوضيح العواطف الإنسانية ، وأجمل الشعر عنده ما خلا من المغالطات المعنوية . يقول : تأمل شاعرا ماتت زوجته وتركت له طفلة صغيرة .فقال يصف حالها بعد موت أمها :

فقد تركت صغيرة مرحومة ... لم تدر ما جزع عليك فتجزع

فقدت شمائل من لزامك حلوة ... فتبيت تسهر أهلها وتفجع

وإذا سمعت أنينها فى ليلها ... طفقت عليك شئون عينى تدمع

فقد صور حال الصغيرة بكل دقة بلا تشبيه ولا استعارة ، وعرض للجانب الآخر بشئ من مغالطات الشعراء ، وحاول أن

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتشبه بجرير فى ثاء زوجته .

بين الخيال والوهم :

وهو يفرق بين الخيال والوهم ، فالخيال عنده إظهار الصلات بين الأشياء والحقائق ، بشرط أن يعبر عن حق .

والوهم : أن يتوهم الشاعر صلة بين شيئين لا صلة بينهما أصلا ، وهذا يغرى به دائما صغار الشعراء والمتشاعرين ، ولم يسلم منه كبارهم كقول أبى العلاء :

واهجم على جنح الدجى ولوانه

أسد يصول من الهلال بمخلب

فالصلة بين طرفى التشبيه متوهمة لا وجود لها ، وشكرى يرى أن الشعر الجيد يربط بين الحقائق بنظرة بعيدة لا تنخدع برواء المظاهر ، والشاعر الفذ يرى المجاهل بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويكشف عن الأسرار فيغرى به الجهلة القساة .

وعبد الرحمن شكرى ينقد الشعراء التقليديين بمرارة قائلا : إن وظيفة الشعر الآن ليست هى وظيفته أيام العباسيين ومن قبلهم ، لقد كان الشاعر بالأمس نديم الملوك ، وهو الآن صديق الوجود والكون لا علاقة له بالملوك ، وتبدو قيمته الشعرية بمدى إحساسه بالحيلة . وإذا رأيت شاعرا لا يفرق بين الحوادث الصغيرة والكبيرة فهو ضئيل الشاعرية .

ويقول إنه يحب الشعر من أجل الشعر وليس لمقصد خلقى ، وإنما هو يقصد اللذة العقلية والنفسية ، التي تحس من جميع الفنون

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرفيعة . ويلاحظ على شكرى أنه يومئ إلى عدم أهمية الأخلاق فى الشعر . ولذلك يمكننا أن نعده من أنصار الأكاذيب الشعرية والإغراق فى الخيال الجامح . ولكنه دعى مرارا إلى الصدق الفنى والخلقى ، وتلك صورة من اضطراب الشعراء .

الوحدة الموضوعية :

القصيدة العربية الحديثة بناء هندسى واحد ، يقوم على الحقائق والعواطف والأخيلة ، ولهذا يدعو شكرى إلى أهمية الوحدة الموضوعية والعضوية فى القصيدة ، وإلى عدم الإغراق فى الخيال وألا يصور حالة الرثاء على أن الرياح تبكى على الميت ، وأن البحار قطرة من البكاء ، فهذا غث بارد . ولام الذين يرون الشعر مجموعة من الأكاذيب ، وقال إن الشعر منظار الحقائق لا الأكاذيب وليس وظيفته قلب الحقائق ، بل إقامة الحقائق المقلوبة ، وينصح الشعراء بالبعد عن المفردات الغريبة ولو اهتم بالقيم الخلقية فى الشعر لكان معدودا مع أنصار الصدق فى الشعر . ولكل وجهة هو موليها . ويقول لا رابطة بين المفردات الغريبة ورفقة الشعر ولا بين البسيط والابتذال . ويتأمل البساطة فى قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو فى ثياب صديق

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال المتنبى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن [١]

فليس فى البيتين مفردات غريبة ولكنها من أجل وأفخم ما يقال فى الشعر ، والذين يكلفون بالغريب هم المتكلفون الوزانون فقط . وأشعر الشعراء من تأتى شاعريته بلا تكلف للغريب ولا تكلف للصور الغريبة بل تأتى فى أشعاره عفو الخاطر .

والحكم على الكلمة بالجودة أو الرداءة مرده إلى مكانها فى البيت كما قال عبد القاهر [٢] .

تأمل كلمة شئ فى الأبيات الآتية :

قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

وكم مالئ عينيه من شئ غيره

إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وقول أبى حية النميرى :

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة

تقاضاه شئ لا يمل التقاضيا

---

[١] وقوله :

يا من نعيت على بعد بمجلسه ... كل بما زعم الناعون مرتهن

كم قد قتلت وكم قدمت عندكم ... ثم انتفضت فزال القبر والكفن

قد كان شاهد دفنى قبل قولهم ... جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا

[٢] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق د / خفاجى ص ٤٩ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقول المتنبى :

قضى الله يا كافور أنـــك أول وليس بقاض أن يرى لك ثانى
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شـــئ عـــن الـــدوران

فإنها حسنة فى الأول والثـــانى دون الأخـــير ، ومـــا ذلـــك إلا لموقعها فى البيت ، فإنها فى الأخير مجهولة منكرة يأباهـــا الـــذوق السليم والطبع المستقيم .

والواقع أن عبد الرحمن شكرى كان متأثرا بكبار النقاد الإنجليز وعلى رأسهم كولريدج فى البكاء على البائسين من أمثاله .

أما حديثه عن إحساس الشعر فهو ذاتى مبتكر وإلهام من عنـــد الله ، وكان عبد الرحمن شكرى علـــى درايـــة واســـعة بـــالآداب الإنجليزية والفرنسية ، والعربية إلى جانب فنون المعرفة الأخـــرى كالتاريخ والتربية وعلم النفس ، وكان شكرى على صلة وثيقة بكـــل ما كتبه شكسبير ، وكيتس وغيرهم من أدباء إنجلترا والغرب ، ذلك لأنه سافر بعد إتمام دراسته بمدرسة المعلمين إلى إنجلترا . وهنـــاك توسع فى دراسة الأدب الإنجليزى بجامعة شـــيفيلد ســـنة ١٩٠٩ - ١٩١٢ م حيث حصل على إجازتها ، وعندما عاد من إنجلترا عـــزم على إثراء الأدب العربى بما تعلم هناك ، وشاركه فى هذه المهمـــة الضخمة كل من عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازنى

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المازنى والنقد التحليلى :

إبراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى والعقاد هم الأعمدة الثلاثة لمدرسة الديوان الأدبية الذين أثـــروا النقـد الأدبى الحديث بجهود يستحيل جحدها . وهذا ما يعرفه النقاد فـــى العالم العربى كله . والنقد الحديث عند المازنى مدون فـــى الكتـب التى صنفها ومنها : " الشعر غاياته ووسائله " .

وحافظ إبراهيم ومع هذا فقد كانت له مقالات نقدية مفيدة فـــى كتابه " الديوان " مع العقاد وله " حصاد الهشيم " و " قبض الريـح " وهما كتابان جيدان فى النقد الحديث وبخاصة مـــا يتعلـق بـالذوق السليم وله دراسة عن بشار بن برد فى مجموعة أعلام الإسلام .

والمازنى كثيرا ما يشير إلى أهمية الأسلوب الشـــعرى ، وكـان يقول الألفاظ مطروحة فى الطريق كما قال الجاحظ :

وإنما العـــبرة بنظمـــها شـــعرا وهـــى كـــالألوان بالنسـبة للرسام .

والذى يؤخذ على المازنى ميله الشديد إلى الثقافة الغربية والنقـد الإنجليزى بصفة خاصة . ومرد ذلك إلى حياته فى بريطانيـا عـدة سنوات ، وهو من أنصار النقد الغربى بخيره وشره . ولذلك رأينـاه ينقل حديث الشاعر البريطانى شيللى عن الشعر والشعراء ، يقـول : " وقول شيللى إن الشعراء يبلغون درجة الأنبياء لأنهم يستكشـــفون للنـــاس عوالـم مـــا كـــانوا يســـتطيعون الوقـــوف علـــى

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسرارها .. إلخ "[1] وهذا تخريف ممجوج لا يستحق المداد الذى كتب به . فضلا عن صليبية شيللى وفساد تدينه وعدوانيته على الشعوب المغلوبة .. ولم يكتف المازنى بالأخذ عن شيللى وإنما أخذ عن الكثير من الغربيين وكراهيتهم للمسلمين ، والمازنى : يعرف الشعر بأنه مرآة الخواطر الأدبية السابقة الصادقة ويقول : إنه مرآة الحقائق العصرية ولا يستطيع الشاعر الفكاك من عصره أبدا .

وكان المازنى يرى أن الألفاظ قاصرة عن أداء المعانى فهى مجرد رمز أو وحى . أما الخيال فهو الذى يتمم ألفاظ الشعر .

ويقول : ولهذا فإن الغموض وعدم الاستقصاء هما دائما لغة الشعر . والشعر مجاله العواطف ، وهو ملكة يجود الله بها على من يشاء ، ومن المنثور ما يشبه الشعر فى تأثيره وغاية الشعر عند المازنى هى الإمتاع ، ويقول : وغاية الشعر والدين واحدة هى إمتاع النفس الإنسانية .

ويقول : إن الشعر يطهر النفس الإنسانية عن طريق إرهاف الحس وصقل العواطف ويوقظ الحواس الخامدة والمشاعر الراكدة .

وعن لغة الشعر : يرى المازنى أن تكون لغة خاصة لا سوقى فيها ولا غريب ، ولا مضحك ولا وضيع ، ويلاحظ على مدرسة الديوان عامة أنها كانت معادية للشعر العربى التقليدى الذى كان ينشده شوقى وحافظ . على حين يرى المتأمل أن تقليد القدماء فى الشعر خير من التلاشى والضياع فى خداع الآخرين وضلالتهم .

---

(١) النقد الأدبى الحديث أصوله اتجاهات رواده ، د / زغلول سلام ص ٢٤٨ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكـاد الدمـوع الجاريـات تقلـه وتدفعـه الأنفـاس مستعـرات
وشاعت تعازى الشهب باللمح بينـها عن النير الهاوى إلـى الفلـوات
بكى الشرق فارتجت الأرض رجـة وضاقت عيون الكون بالعبرات (١)
مشى نعشه يختـال عجبـا بربـه ويخطر بين اللمس والقبلات (٢)

وأخذ الشعراء بعضهم من بعض كثير فى الشـعر ، ولا عيـب على شاعر أن يستفيد من غيره فى غير سرقة .

وقد أخذ حافظ من الخنساء قولها فى أخيها صخر :

المجد حلته والجود علته والصدق حوزته تعنيه أسفار

فقال حافظ يمدح الخديوى عباس حلمى الثانى فـى ١٩٠١/١/٨ م

وقد تصرف فى النظم تصرفا حسنا :

اليمـن أولـه والسـعد آخـره وبين ذلك صفو العيش لم يشـب
فالعرش فى فرح والملك فى مـرح والخلق فى منح والدهر فى رهب
الحلـم حليتـه والعـدل قبلتـه والسعد لمحته كشـافة الكـرب

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ١٤٧/٢ .

(٢) يقول :

ففى الهند محزون وفى الصين جازع وفى مصـر بـاك دائـم الحسـرات
وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب وفى تونس ما شـئت مـن زفـرات
بكى عالم الإسـلام عـالم عصـره سـراج الديـاجى هـادم الشـبهات

وهذه مبالغات جاوزت الحد .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشوقى وحافظ يصيبان معا ويخطئان معا كذلك ، كوصفهما النعش بالاختيال " شوقى فى رثاء مصطفى كامل ، وحافظ فى رثاء الشيخ محمد عبده " .

ومن نقد المازنى لحافظ وهو من النقد المقبول تعليقه على بيت حافظ فى حريق ميت غمر (قرية بالدقهلية) :

أكلت دورهم فلما استقلت لم تغادر صغارهم والكبارا

يقول المازنى : إن النار تأكل الناس أولا . . . ولا يعقل أن يبقى الناس فى بيوتهم حتى تأكلهم النار ، وليس من اللازم إذا احترقت البيوت أن يحترق سكانها أيضا [1] .

وأخذ المازنى على حافظ قوله فى فيكتور هوجو :

أعجمى كاد يعلو نجمه فى سماء الشعر نجم العربى

فقال : إن المطلع يوحى بالذم لا المدح ويتهمه بسوء الصياغة فى قوله :

غفا المحزون والشاكى وأغفى أخو البلوى ونام المستهام

فإن معناه : نام المحزون ، نام المحزون ، نام المحزون ، نام المحزون أ . هـ .

وهذا لا يخلو من تحامل بين على حافظ ، لأن المحزون والشاكى والمبتلى والمستهان كل منهم له هم مغاير لهم أصحابه ، ويغتفر فى الشعر ما لا يغتفر فى النثر .

---

(1) حافظ إبراهيم للزازنى ص ٣٩ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبدو للمتأمل أن المازنى ربما يجيد التجنى على حافظ بصورة مؤلمة ، يقول : إن ابتسامته فى شعره جامدة كابتسامة الموتى ينتفض لها البدن ، ودمعته فاترة يضطرب لها البدن أيضا وزفرته فاترة باردة كأنفاس ليلة ذات شبم ، وأناته كصرير الباب ، طال عليه القدم .

وعبارات المازنى هذه جميلة بليغة ولكنها ما أنصفت شاعر النيل ، ويقول : ما حافظ إلا كشاعر أراد وصف البحر فراح يحث على بناء الأرصفة قبل أن يغرق الأطفال .

خلاصة نقد المازنى لحافظ :

هو نقد منفعل معاد ، وليس موضوعيا ولم يذكر شيئا من حسنات حافظ وركز على سيئاته ، ورماه بالجهل ، وربما كان جهل المازنى أكثر لأن التماثل مع التعاصر مجلبة للحسد ، واتهمه بضآلة العاطفة وهذا أيضا غير صحيح ، ويكفى الاطلاع على العمرية واللغة العربية لمعرفة صدق العاطفة عند حافظ .

المازنى والمنفلوطى :

أصدر المازنى مع العقاد ١٩٢١ م كتاب الديوان ، ودعوا ومعهما شكرى إلى أدب جديد وفيه حمل المازنى على المنفلوطى حملة شعواء ربما كانت أشد من حملته على حافظ ، فاتهم كتابه العبرات بأنه كتب بلغة النساء ، فما خلق الرجل للعبرات وإنما خلق للحرب والجهاد . واتهم إحساسه بالعجز والقصور .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال : إن ما جاء بالعبرات ترجمات عن أمثال المنفلوطى من أمثال الضعفاء أصحاب مذهب التصنع المفرطين فى الرقة والأنوثة والباقى ملفق مستحيل القبول .

ويتجنى فيقول : ويأبى له ذهنه المنتكس إلا أن يغير وأن يبدل . ولا يرى ميتا ولا يسمع زفيرا أو شهيقا أو نقيقا أو نهيقا . أو شيئا من هذا القبيل إلا وينثر عبراته التي كأنها ذات زر فى تضاعيف ثيابه فيضغط عليه فتنحدر دموعه وتسيل ، وإن كان لم يبك على طفليه اللذين ماتا فى أسبوع واحد ، ويقول فبالله ما لهذا الحانوتى الندابة والأدب ، الذى هو حياة الأمم وروحها ؟

ويقول المازنى : إنه ضد الأدب الذى يشتم منه رائحة الضعف والنعومة لأنهما من صفات النساء والضعفاء المهازيل . والثكالى والمغلوبين ونحن نريد القوة والجلاد .

والمازنى يرى أن الأدب للمتعة فقط ، فأما العبرات والنظرات فأدب الندابة والنعومة والأنوثة .

والمازنى فى نقده للمنفلوطى وحافظ إما مدفوع دفعة شيطانية من جهة سرية ، أو حاسد وكثيرا ما يتحاسد الأدباء ، ولذلك رأيناه يكيل التهم للمنفلوطى جزافا . فهو يكيل الألفاظ بلا حساب ويستعمل اللغة جزافا ، وأدبه مؤنث ولا يوافق العصر وهو شنيع ملفق . والمنفلوطى عنده لا يحسن التلفيق وأدبه أدب ضعف لا قوة ، وهو يعنى بالشكل دون اللباب . وهو مصطنع متكلف ، ليس لديه

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عاطفة صادقة ولا إحساس دقيق وماذا لدى المغلوب على أمـــره إلا البكاء ؟

لقد كان المازنى متجنيا بانفعال عيابا سبابا يتهم المنفلوطى مـرة بالأنوثة ومرة بما هو أنكى . وبالتفاخر بالنســب احيانــا أخــرى ، ويتحدث عن عقد نفسية وعصبية عنده . ونقده بعيد كل البعد عـــن الموضوعية فى النقد ولذلك عاش أدب المنفلوطى على الرغم مـــن نقد المازنى له .

المازنى وطه حسين :

أبدى المازنى سامحه الله نظراته فى كتابه " قبض الريح " فـى ما ذكره طه حسين عميد الأدب العربى حول صلة الأدب بـالأخلاق والدين ، وغاية الأدب ، ومنهج الشـــك فـــى تحليـل النصـوص واستخراج الحقائق الفنية والتاريخية والأدبية منها ، ثم عـــاد طـه حسين يقول بعدم التزام الأديب بشئ غير الحرية .

والمازنى دائما يحاول الربط بين شخصية الأديـــب وأسـلوبه والموضوعات التي يطرقها ، ويفاجئنا المازنى بجسارة فيقـول : لا علاقة بين الأدب والفضيلة . وهذا كلام عربى الكلمـات بريطـانى الفكر والغاية والهدف . إنه كلام الشياطين ، إنه كلام الشاعر شيللى مكتوب بحروف عربية ، ومنسوب إلى أديب يتحدث العربية ، ذلـك لأن أدب السفاهات مهما كان قائله لا يمكن وصفه بالجودة والبراعة مهما حمل من صور البيان ومحاسن الكلام .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول طه حسين عن الأدب العباسى : خسرت الأخلاق من تطور الأدب فى العصر العباسى ، وربح الأدب ولم يعرف العرب عصرا كثر فيه المجون ، وأتقن فيه الشعراء التصرف فى فنونه وألوانه كهذا العصر . ثم كان من فساد الخلق أن ظهر فن جديد فى الأدب العباسى هو فن الغزل بالغلمان ، وهذا ما لم تعرفه الجاهلية ولا العصر الأموى ويتنافى تماما مع المثل العليا فى الإسلام . أضف إلى هذا أن مجالسهم فى الحانات والأديرة كانت غاصة فى الظريفات فيتحدثون ويفجرون !! (١)

وتحدث المازنى عن أثر العمى على كل من بشار وأبى العلاء وطه حسين وأرجع السهولة فى أسلوب طه حسين إلى انه أستاذ جامعى وأنه أعمى يملى ولا يكتب (٢) . وأنه لا يعيد النظر فيما يمليه ، فينقحه ، وهذا كله يضفى عليه البساطة والتكرار .

وكان عليه أن يضيف شيئا من الحديث عن آثار الانحلال الخلقى على الدولة العباسية نفسها التي راحت تتلوى تحت سعير الشهوات حتى اجتاحها هولاكو الوثنى فى نهاية المطاف وذبح الخليفة العباسى المستعصم فى قصره كما تذبح الشياه وطوى الحضارة العباسية من الوجود ، وأغرق الثقافة الإسلامية فى نهر دجلة سنة ٦٥٦ هـ .

---

(١) حديث الأربعاء ، طه حسين ص ٣٨ .

(٢) قبض الريح ص ٦٧ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المازنى والشعر العباسى :

تعرض المازنى لدراسة ثلاثة من شـــعراء العصـــر العباســـى ليستخلص بعض النتائج التي يريد تعميمها علـــى العصـــر كلـــه . وهؤلاء الثلاثة الذين درسهم هم المتنبى وابن الرومى وبشار .

المازنى والمتنبى :

قال : إن مفتاح شخصية المتنبى هو القوة ، وأن هذه القوة هـــى السبب فى انتشار شعره فى المشارق والمغارب ، ويقول : إن هـــذه القوة لا تتوفر فى غيره من شعراء العربية كما هى متوفـــرة عنـــد المتنبى ، وقال عنه : إنه خلق للكفاح والقتال لا للاستجداء والتمســح بالأقدام بدليل قوله فى سيف الدولة :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقـــة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

إن هذا كلام شاعر يشعر بنفسه وبحقه ، ولا يرى نفسه قـــابلا أن يكون ذيلا .

ويقول عن جدته :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد
لكان أباك الضخم كونك لى أما

ويقول عن عثرات المتنبى فى شعره : إن عثرة الوثاب شديدة [1]

وقال : إن توجهه إلى كافور كان عكس ما عرف عنه من ميله

---

(١) حصاد الهشيم ص ٢٩ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلهية وهو صورة للحياة والحياة كحجارة اللعب . والشعر هو الذى ينظمها . والشعر من هذا الجانب يختلف عن العلم . فالعلم شئ مكتسب ويزيد بالقراءة وينتاقص بالكسل ، والتقليد فى العلم سائغ مطرد ، أما الشعر فالتجديد فيه لا يجدى فتيلا ، وإلا لظهر أمثال فحول الجاهلية مرة أخرى ، وهذا ما لم نره ، ولن يراه أحد ، لأن شاعرية الشاعر لا يلحقها نقصان . ولا يعروها فتور إلا فى أوقات معروفة ، ثم لا تلبث أن تثور فتلقى بأعجب الأشعار .

ولا يلبث المازنى أن يفاجئنا بمقولة أوروبية تعد جناية على الأمة الإسلامية فيقول : " إن الجنس الآرى أورى زنادا فى الشعر من الجنس السامى ، وهذا هو سرّ توقد شاعرية ابن الرومى "

ويمعن فى الخطأ فيقول : " وما نجحد أن الشعوب الآرية افطن لمفاتن الطبيعة وجلالة النفس الإنسانية ، وجمال الحق والفضيلة إلا مكابر ضعيف البصيرة أو رجل أعمته العصبية الباطلة عن إدراك ذلك "

ويقول : إن الذين نبغوا فى الشعر العربى نفسه أصولهم غير عربية كمروان بن أبى حفصة وبشار ، وأبى نواس ، وابن الرومى ، ومهيار ، وابن المقفع ، وابن العميد ، والخوارزمى ، وبديع الزمان الهمذانى ، وأضرابهم .

ويخلص إلى هذه النتيجة وهى أن السبب فى توقد شاعرية ابن الرومى هو أصوله الآرية .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والواقع أن المازنى ولد وعاش ومات أيام سطوة الاستعمار البريطانى وسيطرته على مصر والعالم العربى كله بالمشاركة مع فرنسا . فغلبت الروح الانهزامية على بعض الأدباء ، ففقدوا الثقة فى مستقبلهم بعد أن فقدوها فى حاضرهم وماضيهم .

ولهذا رأيناه يقول عن ابن الرومى : فليس بمستغرب أن يرث ابن الرومى بعض شمائل قومه وهو الآرى " فارسى يونانى " وأن يكون شعره أشبه بهم من العرب ، وإن كان عربيا فى لغته وأسلوبه والواقع أن تنازع المسلمين أدى إلى فشلهم وذهاب ريحهم وظهور جرائم الأوروبيين فيهم ، ويرد المازنى التشاؤم الذى عرف به ابن الرومى إلى اضطراب فى الأعصاب أغرى به الناس وأغراه بهم لدفع أذاهم ، ويرد السبب فى فحش أهاجيه إلى ضعف فى رجولته كقوله عن ظهور الربيع :

تبرجت بعد حياء وخفر تبرج الأنثى تصدت للذكر

ويقول : إنه عاش ناقما على الحياة والناس شاعرا بالمرارة والألم كان ككل حساس مصقول المشاعر تصطدم عنده المثل بمظاهر الحياة وواقع الناس ، وهذا أوجع شئ عند الشعراء .

كان ابن الرومى ذا نفس جياشة بالمشاعر والأحاسيس . ولهذا يتألم من ارتفاع الجهلة على حساب أصحاب المواهب والمثل العليا ، وهذا هو السبب فى أن شعره يقطر بالسخرية والازدراء والميل إلى الهجاء . وقيل : إن هناك عللا ثلاثا كانت تؤثر بشدة على شعر ابن الرومى وهى : اضطرابه العصبى ، ورهافة حسه ، وشعوره

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالاضطهاد ، ومن ثم فلم يستطع التكيف مع الناس بل ثقلت عليه وطأة الحياة والناس فجاء شعره ساخطا على كل شئ وكان سريع التهيج والغضب على مخالطيه والمحتكين به ، ولو قابلوه فى الطريق ، واستولت عليه الأوهام ، وصارت عنده حقائق ثابتة .

وحاول المازنى أن يطبق شيئا من التحليل النفسى على شخصية ابن الرومى وفعل الشئ نفسه مع بشار بن برد .

منهج المازنى فى النقد :

يقوم هذا المنهج على أن الأدب عنصر ذاتى وأن أحاسيس الشعراء والأدباء ذاتية تجاه الحياة و الناس . ويرى أيضا أن الأدب يعنى بالأخلاق وكل شئ جميل فى الحياة وإن صادم الأخلاق أحيانا والأدب ينأى عن الرذيلة وكل شئ قبيح ، ومن هنا يعرف الأدب النافع للناس والأدب الضار ، والمازنى يعد القوة من مظاهر الجمال والفضيلة ، كما أن الضعف والنعومة من مظاهر التحلل والرذيلة ، وهو يرى أن صدق التعبير لا يستلزم التكلف والتصنع ونحوهما مما يدل على كذب المشاعر والأحاسيس .

وهو أيضا يرى أن الأدب صورة لنفسية الأديب وأسلوبه فى الحياة . ويرى أيضا أن الصورة البيانية فى النص الأدبى مستوحاة من نفسية الأديب ويمثل لها بشئ من شعر البحترى ، كقوله :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه ... يبث حديثا كان قبل مكتما

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن شـــجر رد الربيـــع لباســـه عليه كما نشرت وشيا منمنمـــا
أحـــل فـــأبدى للعيـــون بشاشـــة وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتـــى حســـبته يجيئ بأنفـــاس الأحبـــة نعمـــا
فما يحبس الراح التي أنت خلـــها وما يمنع الأوتـــار أن تترنمـــا

فلو جاء أى رسام بأبدع صورة ووضعها إلـــى جـــانب أبيـــات البحترى هذه ما أغنت شيئا معها . ألفاظ شاعرة وأحاسيس صادقة ، وهو معجب بالبحترى إلى حد بعيد .

والألفاظ عند المازنى أدوات الكتابة . ولعل غير الشـــعراء لـــها أحفظ وهى فى طريق من يشاء ، ولكنها ليست كل شـــئ بالنســـبة للكاتب وهى كالألوان بالنسبة للرسام ، والمازنى معجب أيضا بـــابن الرومى ساخط على حافظ ، ونقد المازنى له مختلط بالشتم والســـب والتجريح ، ومتأثر بمزاجه الخاص ويقـــف مـــن المـــرأة موقـــف الشك والعداء ويردد ألفاظا تتصـــل بـــالموت والقبـــور والتشـــاؤم والصحراء وينفر ظاهره من الحزن والتشاؤم وهو فى أعماقه شـــبيه بابن الرومى .

وقد خطا المازنى بالنقد التحليلى خطوات إلى الأمام ، هذا النقد الذى برع فيه العقاد براعة منقطعة النظير ويبدو فى نقـــد المـــازنى آثار أوروبية وإنجليزية فقد تأثر بشـــيللى وكولـــيردج ، وكـــارليل وغيرهم ولكن شخصيته النقدية فذة قوية وإن جانبه الصـــواب فـــى بعض الأحيان [١] .

---

[١] حصاد الهشيم للمازنى ص ٤٥ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقاد العبقرى الفذ

١٨٨٩ - ١٩٦٤ م

عملاق الأدب العربى فى العصر الحديث النـــاقد الفـــذ علـــم الأعلام النابغين المعاصرين فى الأدب والنقد نابغة الآداب والفنـــون والعلوم الذى قيل عنه إنه جامعة بأكملها تتنقل بين النـــاس قضـــى حياته وبيده قلم يكتب ويؤلف وقود المعارك الحامية مع الكتاب فيمـــا هم متخصصون فيه فتكون له الغلبة والانتصار حتى لحق بـــالرفيق الأعلى رحمه الله . طار صيطه فى الآفاق وأربت مؤلفاتـــه علـــى المائة عدا كتاباته العملاقة فى الصحف والمجلات . شغل العقـــاد الباحثين من بعده فى عدة اختصاصات وكان الجانب الإسلامى فـــى كتابات العقاد واضحا جليا وبخاصة فى كتبـــه عبقريـــة محمـــد ﷺ وعبقرية الصديق وعبقرية عمر وعبقرية الإمام على ، عبقرية خالد ، عبقرية المسيح عيسى بن مريم ، وعبقرية عمرو بن العـــاص ، وعبقرية الصديقة بنت الصديق ، أبو الشهداء الحسين بـــن علـــى ، داعى السماء بلال مؤذن الرسول ﷺ ، وأثر العرب فـــى الحضـــارة الأوروبية ، الفلسفة القرآنية ، الله ، عقائد المفكريـــن فـــى القـــرن العشرين ، الديمقراطية فى الإسلام ، فاطمة الزهراء والفـــاطميين ، أبو الأنبياء إبراهيم ، ذو النورين عثمان بن عفان ، مطلع النـــور ، طوالع البعثة المحمدية ، الشيوعية والإنسانية فى شريعة الإســـلام ، الإسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله ، إبليس ، معاوية بـــن أبى سفيان فى الميزان ، أفيون الشعوب ، حقائق الإسلام وأبـــاطيل

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خصومه ، لا شيوعية ولا استعمار ، الإسلام والاستعمار ، التفكير فريضة إسلامية ، المرأة فى القرآن الكريم ، المرأة ذلك اللغز ، سارة ، الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، اللغة الشاعرة ، الإنسان فى القرآن الكريم ، ما يقال عن الإسلام .

هذا كله بالإضافة إلى الكتابات الأدبية والنقدية ودواوين الشعر وغير هذا مما يثرى التراث والعروبة والثقافة الإسلامية بصفة عامة .

وقد ولد هذا العلامة الأديب العملاق عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد فى ١٨٨٩/٦/٢٨ م فى أقصى الصعيد (جنوبا) فى آخر محافظات الصعيد بجمهورية مصر العربية (مدينة أسوان) وهذه المدينة على وجه التقريب مواجه للمدينة المنورة شرقا لا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر ومساحات قليلة من الرمال على الجانبين.وقد ولد فى أسرة سنية معروفة بالإيمان والتدين والخلق الفاضل،كان أبوه أمينا للمحفوظات لمدينة أسوان فأورث ابنه حب النظام .

كان العقاد رحمه الله تعالى أديبا ناقدا شاعرا فيلسوفا عالما قصاصا صحفيا سياسيا مؤرخا كان ملما بالكثير من اللغات الأجنبية ، غزير الإنتاج فى مختلف العلوم والفنون ، ويجيد سبع لغات عالمية إجادة تامة ، أوتى عقلا جبارا من أخصب عقول البشر فى المشارق والمغارب ، ورزق شعورا رقيقا مرهف الإحساس مع قدرة بارعة على فهم ما قرأ ، تتلمذ على الشيخ محمد عبده فقال عنه وهو فى العاشرة : ما أجدر هذا الفتى أن يكون كاتبا عملاقا

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكان كذلك انقطع العقاد عن الدراسة بعد حصوله على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٣ م ثم أفنى حياته فى التأليف والتصنيف وتوفى رحمه الله تعالى فى ١٩٦٤/٣/١٢ م رحم الله الكاتب العملاق أعجوبة الدنيا وشاغل الناس (كالمتنبى) إلا أن المتنبى كان شاعرا فقط ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

العقاد والنقد التحليلى :

العقاد رائد مدرسة النقد التحليلى فى العالم العربى كله فى العصر الحديث عن جدارة واستحقاق . وهو أغزر أعلام مدرسة الديوان إنتاجا فى الأدب والنقد معا ، وهو مؤصل النقد العربى الحديث بسبب تأصيله لأهمية شخصية الأديب وبيئته وصدق مشاعره ، والعقاد فى تصانيفه الكثيرة المتعددة ومقالاته النيرة النافعة لم يتعد أصول النقد العربى إطلاقا وإن توسع فى بعضها وأوجز فى البعض الآخر على الرغم من اتساع ثقافته العربية والغربية . فمثلا الجانب الشخصى يتوسع فيه العقاد كثيرا ، ويجنح إلى التحليل النفسى وإبراز الدوافع الإنسانية النفسية الكامنة خلف النص الأدبى ، كما يتتبع الدوافع الاجتماعية التي أملت على الأديب ما كتبه أو قاله من حيث المعانى والصور .

العقاد والشعر :

أبدى العقاد رحمه الله تعالى رأيه فى الشعر ومفهومه والغاية منه فى عدة مقالات منها مقدمته لديوان شكرى ، وفى كتاب الديوان وساعات بين الكتب وغيرها ، يقول : " ليس الشعر لغوا تهذى به

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرائح فتتلقاه العقول فى ساعة كلالها وفتورها . . . بل الشعر حقيقة الحقائق . ولب اللباب ، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها ، فإن كانت النفس كاذبة فالشعر كاذب ، وكل شئ فى الوجود كاذب كذلك ، والدنيا كلها رياء وفوضى ولا موضع للحقيقة فى شئ من الأشياء ، إن الشعر قد يخالف الحقيقة فى صورته ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها ولا يشذ عنها "

ويقول العقاد : " والشعر إن عبر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى بل يقذف بالحقائق . والشاعر الحق من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها . والشاعر الموهوب يودع فى نفس إخوانه زبدة ما رآه أو صنعه وخلاصة ما استطابه أو أبغضه " (١) .

والشعر الصحيح ما يقوله الشاعر ، والشاعر هو الإنسان الممتاز بالعاطفة والنظرة الفاحصة إلى الحياة ، وهو صاحب الصياغة الجميلة فى إعرابه عن العواطف والنظرات (٢) .

والعقاد فى كلامه عن الشعر والشاعرية يعد أستاذا لصاحبيه المازنى وشكرى وغيرهما ورائدا من وراد الأدب العربى ونقده فى العصر الحديث يعز مثيله على توالى القرون وكر الدهور ، يقول رحمه الله تعالى : " ومهمة الشعر إطلاعك على مالم تستطع الوصول إليه من أعماق النفوس وغرائب الحياة ولهذا فهو ليس لهوا ولا تسلية يزجى بها وقت الفراغ . وليس الشعراء عنده كالأنبياء

---

(١) مقدمة ديوان شكرى ص ٧ .

(٢) ساعات بين الكتب ص ١٢٤ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما يقول الغربيون ويقول العقاد : والشعر باب كبير من أبواب السعادة ، بل إن السعادة ما لم تعقها معوقات الحياة لا تدخل إلى القلوب إلا من بابه ، ولا شئ فى الحياة يسر لذاته أو يحزن لذاته وإنما تسر الأشياء و تحزن بما تكسوها الخواطر من الهيئات وتكيفها الأذهان من الصور ، ولا تنحصر مهمة الشعر فى الفكاهة والترفيه ، وبل ولا مجرد تهذيب الأخلاق وتلطيف الحواس ولكن الشعر يعين الأمة أيضا فى حياتها المادية والسياسية . إنه يبث الطمأنينة فى النفس وينبهها ويوقظ الخامد منها فتتحرك العواطف وتنهض الأمم .

العقاد والصدق التعبيرى :

يقول العقاد - رحمه الله تعالى - : " الشاعر الذى لا تعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف "

وهذا يدل على أن العقاد يميل إلى الصدق فى التعبير عن النفس ، ولا يرى أن يكون الشاعر صورة مكررة للشعراء من قبله ولا ينبغى أن يأتى الشاعر مسيحا لا وجود فيه لنفس صاحبه ، ولا فهمه ولا عاطفته ، فإن جاء كذلك فهو ضرب من النظم غير جدير بوصف الشعر [١] .

الشعر تصوير صادق لمعاناة عاناها الشاعر بلا جدال ولا تذويق ولا خداع والفرق بين الشعر الصادق والكاذب فى محاولة الشاعر التمويه على الناس بالحلية اللفظية ليشغلهم بالمحاسن اللفظية

---

[١] ساعات بين الكتب ص ١١ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبعدهم عن الجوهر والحقيقة والصدق ويمثل لذلك بقول الأندلسية حمدونة :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ضمو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه جالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

يقول العقاد : هذه الأبيات من الشعر البليغ يتسق لها حسن الصياغة وجودة الوصف وبساطة الأداء إلا بيتا واحدا منها يتطرق إليه اللعب العابث والتزييف المكشوف ونعنى به البيت الأخير مع أنه عند العقاد أروع بيت فى هذه الأبيات .

يقول العقاد : وهو عندى زائف لأن الصورة التي عرضتها فيها الشاعرة غريبة عن أصل المعنى كاذبة كل الكذب ، ولا فضل فيها للبراعة والطلاوة .

ويذكر فى مقابلة هذه الصور أبيات المتنبى فى وصف شعب بوان يقول :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وإن كرمن من الحران
غدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول :

يقول بشعب بوان حصانى أعن هذا يسار إلى الطعان [١]

هذه الأبيات حتى نهايتها يرى فيها العقاد صدقا ينقله الشاعر دون تذويق أو كذب ، ووجه العقاد إلى بعض الشعراء نقده لتأثرهم بالثقافة الفرنسية كثيرا وهى تجنح إلى المظاهر ، وتهتم بالأسلوب فشاع لدى بعض الأدباء ميول لدى السطحية واللباقة العابثة ، فلم يفرقوا بين الصادق والكاذب ولا بين الصحيح والزائف المموه ، وخفيت عليهم مقاييس الجد والاستقامة ، ولو تأثروا بالشعرين الألمانى أو الإنجليزى لكتن أنفع ، وفيهما الجد والاستقامة وبهما تزداد قيمة الشعر .

ويعيب العقاد على بعض الأدباء أنهم ظنوا أن الشعر أناقة كلامية ، وفقاقيع خيالية وتزجية فراغ يستوى فيه الصحيح والكلذب ويرى أن (أمير الشعراء أحمد شوقى) متأثر بالثقافة الفرنسية ومثله إسماعيل صبرى ، وغيرهم وكأنهم خلقة واحدة صبت فى قوالب يميزها الطول والعرض .

يقول : فهم سواسية فى وصف الربيع وتشبيه البلابل بالقيان والأزهار بالأعطار ، وما إلى ذلك من الصفات المعهودة والصيغ المحفوظة ، ولهذا لم نر عندهم التمايز الذى نراه عند الأوروبيين وليس فى كلامهم سعة الكون وعمق الحياة . وشوقى متأثر بأصوله

---

[١] وبعده : فقلت إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكان

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التركية وبتربيته فى قصر الخديوى تأثرا شـــديدا ، ولـــه مبالغـات واضحة فى مديح الخديوى عباس كقوله فى حج عباس هذا :

إلى عرفات الله يا خـــير زائـــر عليك سلام الله فـــى عرفـات
إذا حديت عيس الملـــوك فإنـــهم لعيسك فى البيداء خـير حداة
لدى الباب جبريل الأمين براحـــه رســـائل رحمانيـــة النفحـات
وبالكعبة الغراء ركـــن مرحـــب بكعبـــة قصـــاد وركـــن عفـاة
ويرمون إبليس اللعين فيصطلـــى وشانيك نيرانا مـــن الجمـرات
إذا زرت يا مولاى قـــبر محمـــد وقبلت مثوى الأعظم العطـوات
فقل لرسول الله يا خير مرســـل أبثك ما ندرى مـــن الحسـرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربـــها كأصحاب كهف فى عميق ثبات
بأيديـــهم نـــوران ذكـــر وســـنة فما بالهم فى حـــالك الظلمـات

أما رثاؤه مصطفى كامل فغث بارد كقوله :

لو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت فى القرآن

ويقول :

وجعلت تسألنى الرثاء فهاكـــه من أدمعى وسرا ئرى وجنـانى
من للحســـود بميتـــة بلغتـــها عزت على كسرى أنوشروان

والعقاد يقارن بين قول شوقى فى أبى الهول :

ورهين الرمال أفطس إلا أنه صنع جنة غير فطس
فيقول : وماذا فى أن بناة أبى الهول غير فطس بل أيـــن كـان
الفطس من أبى الهول حين بناه أولئك الجنة الذين برأهم شوقى من

Scanned by TapScanner
CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

داء الفطس .

وقول البحترى فى الإيوان :

ليس يدرى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لأنس

وما درى أن قول البحترى هذا لا يجاريه شاعر فى صفة الآثار فهو يقول لنا : أن الإيوان كان فريدا فى الصناعة حتى يخال أنه صنع جن لإنس وهم الضعفاء عن تشييد مثله وأنه مهجور مخيف فيتخيله الناس صنع إنس لجن لما يحيط به من الوحشة ، وما يبدو عليه من الكآبة والرهبة ، ولن يقال فى وصف الإيوان الباذخ المهجور أوجز ولا أبلغ ولا أبرع من هذا المقال ، والعقاد بهذا قد أصاب كبد الحقيقة . وكان تصوير البحترى للإيوان صادقا إلى أبعد حد .

والعقاد طليعة الرواد فى تحليل نفسيات الشعراء مع مزج الجانب الشخصى بالجانب الفنى والاجتماعى ويميل إلى الجانب النفسى معتمدا على علم النفس التحليلى كما فى دراسته نفسية أبى نواس ، ولعل السر فى نجاح البحترى فى وصف إيوان كسرى بغضه للأتراك الذين قتلوا الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان فى مجلس كان فيه البحترى ، ولكنه أفلت منهم بأعجوبة فولى وجهه وقلبه جهة الفرس فكان صادق المشاعر فى وصف الإيوان ، وليست هذه المشاعر الصادقة متوفرة لدى شوقى فى وصف إيوان كسرى .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعرض العقاد لأثر البيئة على الشاعر وشعره فقال عند تقديمه لديوان المازنى : إن عصر المازنى قد أملى عليه اتجاهات معينة فى الشعر قد تظهر فيه آثار بيئة الشاعر ، وقد تختفى ، يقول :

كل بيت فى قرارته جنة خرساء مرنان

خارجا من قلب قائله مثلما يزفر بركان

يقول العقاد : والمرء فى نفسه يرى زمنه ويخيل إلى أن أخانا إبراهيم لو لم ينبغ فى هذا العصر السوداوى ونبغ فى فجر التاريخ لكان هو واضع أسماء الجبال والسحب والرياح والأمواج ، فإن به ولوعا بوصفها .

ويميل العقاد ميلا جارفا إلى صدق التعبير والمشاعر ، ويقول : بيد أن تمثيل البيئة فى الشعر أمر مضلل ينبغى الحذر عند الاقتراب منه ، فهو ليس تمثيلا لأحداث الحياة وإلا كان الشاعر مؤرخا ، وتمثيل البيئة ليس من شرائط الشاعرية لأن الشاعر المتفوق قد يخالف بيته فلا تشبهه ولا يشبهها ، ولهذا هاجم العقاد شعر المناسبات وغيره من الشعر التقليدى الذى برع فيه حافظ وشوقى ، وفى نقده لقصيدة شوقى فى رثاء محمد فريد :

كل حى على المنية غادى تتوالى الركاب والموت حادى

يقول جعلوا التشبيه غاية فصرفوا إليه همهم .

وقال العقاد عن الوزن والقافية : إن من قرأ الشعر العربى ورأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكيف تلين فى أيديهم القوالب الشعرية فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربى على وضعه فى غير قالب النثر .

ويشير العقاد إلى ما ذكره (سبنسر) من أن الشعر والموسيقى والرقص أساسها الحركات والسكنات .

العقاد نصير الفصحى :

ويشير العقاد إلى أن كل شعب فى الناس له لغتان : إحداهما للحديث ، والثانية للكتابة أو الأدب ، والثانية أسمى من الأولى ويجب أن تكون كذلك ، ولهذا فإنه يجب أن تبقى العربية الفصحى لغة الكتابة والشعر .

وقال عن الإنجليزية : هناك فرق بين كتابة (ملتون) الإنجليزى ولغة العامل الإنجليزى ، وبين أسلوب (كانت) الألمانى ولغة المزارع الألمانى ، ولن يأتى يوم تستوعب فيه لغة السوق لغة الشعراء والعباقرة فاللغات الفصيحة باقية وكذلك العاميات ، ومزية الأولى القواعد والأحكام ، وخاصية الثانية الفوضى والاختلال لأنها لا قواعد لها ولا أصول .

ويقول : وإذا جاز فى زمن أن ننسى الفوارق كلها فى العقل والأحاسيس ، فهناك يجوز إلغاء القواعد وبطلان اللهجات وهيهات هيهات . وبهذا يبدو اعتدال العقاد بين الإفراط والتفريط ، فلا ثورة على القديم بدعوى الشعر الحر ، ولا إسراف فى الجمود بالوقوف عند حدود الأوزان القديمة دون تطور مع مقتضيات الزمن والموضوع والأذواق ، والوزن والقافية موسيقى قبل كل شئ وهى

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دائما تتبع الذوق والإحساس ، والفصحى فى نظره مكتملة لا يجوز الخروج عن قواعدها بحال فجزى الله العقاد خير الجزاء .

العقاد وشوقى :

كان للأديب الكبير عباس محمود العقاد مواقف نقدية شديدة مع أمير الشعراء أحمد شوقى ، وقد قست فى بعض الأحيان ، وقيل عن هذه المواقف : إنها قمة الأعمال النقدية للعقاد ، وأبرز ما ظهر فى النقد العربى الحديث فى القرن العشرين ، وقد نشر العقاد نقده لشوقى فى عدة مقالات ودراسات ظهرت فى الديوان ، وجريدة البلاغ ، وفى كتابيه ساعات بين الكتب ، شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى .

وقد سبق المويلحى إلى نقد شوقى فى مجموعة مقالات عند ظهور الطبعة الأولى للشوقيات ، ونقد المويلحى يتجه إلى بعض الجوانب الإعرابية ، والوقوف عند الشكل دون المضمون ، أما العقاد فكانت له وقفات عميقة فيهما معا .

ويبدو فى نقد العقاد لأمير الشعراء روح العنف ، وهو يعلم ذلك فيبرر عنفه بقوله : " ولكننا نهدم الوهم الذى أطبق على عقول الآخرين ، والدسائس التي تراكمت عليهم ، وما أحوج البرهان فى هذه الشدة ، وما اقل ما يغنى فيه اللين والهوادة .

ويصف العقاد موضوعات شعر شوقى بأنها عامية ، تافهة أحيانا كشعره فى أحد الخطاطين يصف ريشته ، يقول العقاد : وهذه روح عامية وملكة مبتذلة ، شعر ينزل بصاحبه إلى مستوى

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإعلانات التجارية ، وكذلك شعره فى مطـــرب يسـمى (عبـده الحامولى) ويقول : يا لها من عبقرية دارجـــة كمبالغـات الباعـة وتذويقات الدلالين فى تحلية البضاعة [١] .

ويقارن بين شعر شوقى وأشعار الغربيين فيقول : " هناك تـرى الحياة بين هذه الأفكار المشرقة معروضة بالنظر ، جادة ســاخرة ، ناقمة راضية ، فياضة غير بكية ، والنفس تحس من ذلـــك العـالم الرحيب ما لا تحسه من سواه ، ثم تلتفت إلى الأدب الـــذى يدعيـه أولئك الأميون العارفون بالكتابة الجهلة المتدثرون بلباس المعرفـــة العامة المتطفلون على موائد الخاصة ، فترى عجبا ، تـــرى هـذا محسوبا على آل فلان [٢] ومتسمحا بآل عمران ، نفـــوس ضاويـة وعقول خاوية وأخيلة فى التراب ثاوية ، أو كأنما هى الأثقال إلـــى القرار هاوية .

وهو يشير إلى ما شاع من أن شوقى محسوب لقصر الخديـوى وحاول حافظ أن يكون شاعر رئيس مجلس الوزراء ، فقد تطـــرق يوما باب سعد زغلول ، وقال لحاجبه قل له إن شاعرك بالبـــاب ، وكان المتنبى يقول .. . . وعادة السيف أن يستخدم القلما . وأمـــا شوقى فقال : شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب .

ومن أجل الأمير هجا شوقى زعيم الثورة العرابية أحمد عرابى بقوله : بعد الإفراج عنه جثة هامدة :

---

(١) الديوان ١/٤٠ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، العقاد ، ص ١٥٦ -١٦٠ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صغار فى الذهاب وفى الإياب أهذا كل شانك يا عرابى

ومرة ثانية يقول :

أهلا وسهلا بحاميها وفاديـــها ومرحبا وسلاما يا عرابيـــها

وبض لنا بيضة للنحس كـــافرة إن الدجاج عقيم فى نواحيـها

والتقى شوقى وأحمد عرابى فى أواخر أيامه داخل قطار فلامـــه عرابى لوما شديدا وتناول أباه وجدته وأمه فسكت شوقى ولم يـــرد . إنها الدنيا نعوذ بالله منها ، ومن حبها ، إنها قتالة فتاكة فتانة .

نقد العقاد لأشعار شوقى :

دمغ العقاد أكثر أشعار شوقى بالجبن وخيانة الأمـــة والعمالـــة لقصر الخديو ى والجهالة الفنية أيضا ، ولئن أخطأ العقاد فى بعـــض أحكامه النقدية فلقد أصاب فى البعض الآخر ، فعلى سبيل المثـــال لا الحصر سنختار آراء العقاد فى رثاء شوقى للزعيم مصطفى كامل :

يقول العقاد : إن العيوب المعنوية التي يكـــثر وقـــوع شـــوقى وأمثاله فيها كثيرة مختلفة المداخل ، من هـــذه العيـــوب : التفكـــك والإحالة والتقليد والولوع بالأعراض دون الجواهر ، وهذه العيـــوب هى التي أبعدت شوقى وأنصاره عن جوهر الشعر المـــترجم عـــن النفس الإنسانية فى أصدق علاقاتها بالنفس والكون والحياة .

,اما عن فساد المعنى فيقول عنه : منه الاعتســـاف والشـــطط ومخالفة الحقوق والخروج بالشعر إلى قلة الجدوى ورداءة المغـــزى ، فمن ذلك قوله فى رثاء مصطفى كامل :

السكة الكبرى حيال رباهما منكوسة الأعلام والقضبان

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول العقاد : وقضبان السكة الحديدية لا تنكس ، وإنما تطـرح على الأرض كما يعلم شوقى اللهم إلا إذا ظن أنها أعمدة التلغـراف على أنها لو كانت مما يقف أو ينكس لما كان فى المعنى طائل .

ومنها قوله :

إن كان للأخلاق ركن قائم فى هذه الدنيا فأنت البانى

وهذا بيت لو جرى المدح والرثاء على سننه لما فهم الناس للشعر معنى ، ولأصبح قطع لسان الشاعر عملا طيبا لا ضـير فيـه ولا خسارة .

الأمر شر من اللهووأقبح من السفه،فكيـف يزعـم شـاعر أن الأخلاق كلها فى هذه الدنيا من عمل رجل ولد فى أواخـر القـرن التاسع عشر ، وأنها من بنائه قبل مولده ، ويتهم العقاد شوقى بالسطو على أشعار القدماء وسرقة معانيهم ثم يقصر عنهم ، يقول شوقى :

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

ويقول العقاد : هذا مغتصب من قول المتنبى :

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته

ما قاته وفضول العيش أشغال

وكذلك قول شوقى :

والخلق حولك خاضعون كعهدهم إذ ينصتون لخطبة وبيان

يقول العقاد : شوه فيه قول أبى الحسن الأنبـارى فـى رثـاء الوزير أبى طاهر الذى صلبه عضد الدولة :

كأنك قائم فيهم خطيبا وكلهم قيام للصلاة

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأن الخطيب لا يخطب والناس ثائرون .

وأما رثاء أمير الشعراء للزعيم محمد فريد فيتهمه فيه العقاد بأنه يسرق المعانى من أبى العلاء فى قوله :

خفف الوطء ما أظن أديم الأر ض إلا من هذه الأجساد

وقول شوقى :

والغبار الذى على صفحتيها دوران الرحى على الأجساد

والمعرى يسأل :

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد

وشوقى يأبى إلا أن تكون القصيدة حمامة تغنى وتبكى فيقول :

ضاق من ثكلها البكا فتغنت رب ثكل سمعته من شادى

ويقول العقاد : ومن ولع شوقى بالعرض دون الجوهر قوله :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوانى

فالمعنى أن القرن كاملا لو عاشه الإنسان فهو دقائق وثوانى .

فهل لو قال قائل : الدقيقة ستون ثانية ، والساعة ستون دقيقة أهذه حكمة ينظمها شاعر .

ولو سمع أنصار شوقى قول أحد فى رثاء النابغين : صن وقتك فقلبك ينبض كما تنبض الساعة لخطر له أن صاحبه يخامره الشك فى عقله ، ولكنه حين يسمع هذا القول شعرا يطرب له .

ولما قال شوقى فى رثاء مصطفى كامل :

لفوك فى علم البلاد منكسا جزع الهلال على فتى الفتيان

ما احمر من خجل ولا من ريبة لكنما يبكى بدمع قان

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال العقاد : إن العلم راية ملفوفة على نفس بطل ، فلم يخاف ؟ هل هو ملفوف على نفس راقصة ؟ إذن فما الداعى للريبة فى هذا المقام ؟ وهو يرثى الرجل الذى قال فيه :

إن كانت للأخلاق ركن قائم فى هذه الدنيا فأنت البانى
ولكنها الغباوة إذا بدأت لا تعلم أن تنتهى بصاحبها

يقول شوقى :

وكأنه نعش الحسين بكربلا يختال بين بكاوبين حنان

يقول العقاد : إن شوقى جاهل بالتاريخ فالحسين لم يشيع كما شيع مصطفى كامل وإنما استشهد وأثخن بالجراح ، فأنى له وهو خصم الدولة ، أن تحتشد له الجنائز ويطاف بنعشه فى المواكب ؟ وأى مقتول شهيد أو غير شهيد يختال بين البكاء والحنان وليس هناك عاقل ينسب الاختيال إلى النعوش ، !!ألا استفاد من قول ابن الرومى :

برياض تخايل الأرض فيها خيلاء الفتاة فى الأبراد
منظر معجب تحية أنف ريحها ريح طيب الأولاد

ويقول : إن هذا لا يميز بين تشييع شهيد إلى قبره وزف عروس إلى خدرها !! أجل كان العقاد عملاقا كالعادة فى نقده وكل كلامه ، سواء أخطأ أم أصاب وهو هنا مصيب مصيب ، لأن تشبيه نعش بنعش أو الزعيم بالحسين رضى الله عنه تشبيهان باردان وكلمة كربلا حشو لا يفيد .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول العقاد : كأن شوقى كان يجمع عاهات الشعر لينفقه بين الجهلة والسذج حتى يقال إنه يشتغل بكيت وكيت من الغرائب !!.

الخيال بين العقاد وشوقى :

أشار العقاد إلى ضحالة الخيال عند شوقى لأنه يستخدم التشبيهات والاستعارات بغير ذكاء لمجرد أنها صور بيانية ، ولا يلتفت إلى ما وراءها من أحاسيس ، إن الشاعر هو من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها ، والشاعر هو من يقول ما هو الشئ وليس من يقول : إنه يشبه كذا ، والتشبيه ليس مطلوبا فى ذاته وإنما المطلوب نقل الإحساس من الشاعر إلى الناس وأن يودع الشاعر فى أحاسيسهم زبدة ما رآه أو سمعه أو أحس به ، أو استطابه أو كرهه ، وإذا ذكر الشاعر شيئين ملونين باللون الأحمر مثلا ثم شبههما بمثلهما حمرة أو أكثر منهما فما زاد على أن ذكر أربعة أشياء حمراء ، بدلا من شئ أو شيئين .

ولكن التشبيه أن تطبع فى إحساس غيرك ما انطبع فى إحساسك وبهذا يمتاز شاعر عن آخر بقدر القدرة على نقل المشاعر والأحاسيس .

ويناقش العقاد أبيات شوقى فى الربيع :

مرحبا بالربيع فى ريعانه وبأنواره وطيب زمانه
زفت الأرض فى قوالب آزا روشب الزمان فى مهرجانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشى فيه مشى الأمير فى بستانه
عاد حليا براحتيه ووشيا طول أنهاره وعرض جنانه

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لف فى طيلسانه طـــرر الأرض فطاب الأديم مـــن طيلســانه
ســاحر فتنــة العيــون مبيـــن فصل الماء فى الربى بجمانــه
عبقرى الخيال زاد على الطـــف يف وأرطبى عليه فى ألوانــه
صبغة الله أيـــن منـــها رفــائيل ومنقاشــه وســحر بيانـــه

حتى فى مديح الرسول ٭ لا ينسى شوقى أنه شاعر الملوك فيقول :

مدحت المالكين فزدت قدرا فحين مدحتك اقتدت السحابا

يقول العقاد : أراد شوقى أن يقول لمستقبليه إنه يحسن الوصــف أيضا فضلا عن المديح والتقليد وما أشبه كلامه بنداء الباعـــة فـــى الأسواق " بالورد الجميل والفل العجيب والتمرحنا روائح الجنة "

أين دلائل الإحساس بالربيع ؟ والشغف بالجمال والحيـــاة فـــى موسم الحياة والجمال إنه الربيع ، كل ما فى أبياته أن الربيع يمشـــى مشى الأمير فى البستان ، وأن صبغة الله أجمل من صبغة رفــائيل " وهذه سقطة " ، وما قاله شوقى قول موظف عند الأمير ، لا قــول شاعر ، فضلا عن أن مشية الأمير فى البستان إذا كـــان وســيما وقورا كمشية غيره من الناس فى بساتينهم أو البســـاتين العامـــة ، والأمير قد يكون فى بستانه متبذلا ولكنه يبحث عن أى مسوغ لذكــر الأمارة وهو القائل عن نفسه :

شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب

والأمير قد يكون شيخا فانيا لا حس فيه ولا عاطفة ، وقد يكون فتى دميما لا بهجة له ولا وسامة وقد يكون كأمير الشعراء لا حـــس

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيه ولا عبقرية ولا أشعار ، فماذا من إحساس الإنسان فى ذلك التشبيه فضلا عن أنه الإنسان الشاعر ؟

إنه جعل الربيع ملحقا بالميزانية والتشريفات والدواوين أو مر أجل هذا هجا عرابى هجاء مرا كما سبق ، وما دفع شوقى إلى قصور الخيال إلا فقدان الحس والخيال والعقل ، ونستطيع الآن أن نوازن بين الإحساس الصادق عند البحترى فى وقفته على إيوان كسرى وشاعرية التقليد فى موقف شوقى على آثار الأندلس أو آثار مصر ، وقابل بين أسى البحترى الصادق فى قوله :

حلم مطبق على الشك عينى ... أم أمان غير ظنى وحدسى
وكأن الألوان من عجب الصنعة ... جوب فى جنب أرعن جلس
يتظنى من الكآبة إذ يبدو ... لعينى مصبح أو ممسى
مزعجا بالفراق عن أنس إلف ... عز أو مرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالى وبات المشتـ ... ترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلدا وعليه ... كلكل من كلاكل الدهر مرسى
عمرت للسرور دهرا فصارت ... للتعزى رباعهم والتأسى
فلها أن أعينها بدموع ... موقفات على الصبابة حبس

يقول العقاد : قارن بين هذا الاسى الصادق عند البحترى وبين شعوذة شوقى فى أساه حين يقول للسفينة القادمة إلى مصر :

نفسى مرجل وقلبى شراع ... بهما فى الدموع سيرى وأرس

أو يقول فى وصف الجزيرة :

لبست بالأصيل حلة وشى ... بين صنعا فى الثياب وقس

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قدها النيل فاستحت فتـــوارت منه بالجسر بين عرى ولبـس

يريد أن الحلة التي لبستها الجزيرة قد شقها النيـــل . فـهربت الجزيرة تتوارى بالجسر عن العيون ، يقول : ولسنا نـــدرى هـل يخيط النيل فى الصباح ما يمزق أثواب الأصيل ، وهل مـــا تـزال الجزيرة فى ذلك الهرب والترقيع ؟ وإن بيتا واحدا مما قاله البحترى فى الربيع كقوله :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

ليساوى كل ما نظمه شوقى فى ربيعياته ، ومنـــاظر النيـل أو مناظر البحار . وكل شئ عند شوقى كأى شـــئ ولا إحســاس ولا شعور ولا صدق ولا فن وإنما هى الصياغة النظمية فقط .

الطبع والصنعة فى ديوان شوقى :

يقول العقاد رحمه الله : وشعر الصنعة ليس على نهج واحـد كله ، فمنه ما هو زيف فارغ لا يمت إلى الطبع بوشيجة ولا صلـة ومنه ما هو قريب إلى الطبيعة ولكنه لا يدل على شـخصية القـائل ولا طبعه لأنه أشبه شئ بالوجوه المستعارة التي فيها كل شئ فـــى الوجوه وليس فيها وجه إنسان .

ومن هذه الصنعة كانت صنعة شوقى فى جميع أشعاره ، فلـو حاولت أن تستخرج شخصيته من شعره لأعياك العثور عليه . أمـــا الشاعر القوى الشخصية فتعرف شخصيته فى الموضوعـات التـي

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يشترك فيها جميع الشعراء ، فالغزل مثلا مباح لكل الشعراء ولكن المتنبى وحده هو الذى يقول حين يتغزل كما سبق :

زودينا من حسن وجهك مادا ... م فحسن الوجوه حال تزول

وصلينا نصلك فى هذه الدنيا ... فإن المقام فيها قليل

يقول العقاد : وهو كلام طبيعة لا زيف فيها ، ولكنه كلام الحكيم المعتد بنفسه العالم بمصير الحياة ومصير الجمال .

وسوء الظن بالناس شعور يخامر جميع المجربين الذين عركوا الزمان وخبروا تقلبات القلوب ، ولكن المتنبى وحده هو الذى يقول حين يسيئ الظن بالناس :

ومن عرف الأيام معرفتى بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم إذا ظفروا به ... ولافى الردى الجارى عليهم بآثم

ويقول :

ولا تشك إلى خلق فتشمته ... شكوى الجريح إلى الغربان والرحم

يقول العقاد - رحمه الله تعالى - : وقد نشرت لشوقى - رحمه الله - مسودة قصيدة نظم فيها على قبر نابليون يقول :

وتوارت فى الثرى أجزاؤها ... وثناها ما توارى فى السنين

قد توارت فى الثرى حتى إذا ... قدم العهد توارت فى السنين

وهما بيتان متناقضان تمام المناقضة فقد نقض بيته الأول حين تهيأت له صياغة أحلى ونغمة أسوغ فى الآذان ، وهو قد مارس

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعر أربعين سنة ، وهذا خليق أن يبلغ بصاحبه الذروة العليا من الصنعة ولا يقيده بشئ غير التدقيق والتوقيع والتنسيق .

يقول العقاد : فإن لم يكن للشاعر إحساس يمتاز به ، ويصور لنا الدنيا على صورة تناسبه ، فهو ناقل وصانع وشبيه بالنسخ الآدمية التي تتشابه فى كل شئ كما تتشابه فى القوالب المصبوبة .

ومما يدعو للإعجاب بالعقاد أنه على ضراوة نقده لشوقى فإنه يترحم عليه إذا ذكره [1] .

وتلك أخلاق القمم العالية والعبقريات الفذة رحم الله تعالى رحمة واسعة كلا من الناقد والمنقود وسقى جدثيهما بشآبيب الرحمات وأسكنهما فسيح الجنات إنه مستجيب الدعوات إنه نعم المولى ونعم النصير .

وتصادم الشعراء قديم ، والعقاد يتهم أمير الشعراء بتحجر المشاعر وتبلد الأحاسيس وتبدو أشعاره أحيانا بلا حس ولا روح .

يقول العقاد : واستعرض ما شئت من أوصاف شوقى للكون لا ترى موضعا منها لالتفات خاص [2] كما هو شأن المولعين حقا بمحاسن الكون الفطرية فليست الآجام عنده خيرا من الأنهار ولا الأنهار عنده خيرا من البحار ولا البحار خيرا من الآجام ، وليس شعور الجيشان عنده أقرب وأظهر من شعور السكينة والاسترسال فى الأحلام ، ربما تكون الأحزان هى السبب فى كل ذلك .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، عباس العقاد ص ١٦٢ .

(٢) السابق ص ١٦٩ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحقاد على العقاد :

يقول العقاد لو جمع أنصار شوقى كل حسناته لما وجدوا لها فضلا غير الصقل والمهارة وكياسة التعبير ونحوها مما لا يخرج عن نطاق الصنعة فى النهاية وهذا إنصاف من العقاد لشوقى فى جانب الصياغة ثم يقول أما صيحة الخرس الذين لا يملكون من الإبانة عن الرأى إلا أن يفغروا أفواههم بالسخط والدهشة فتلك هى الحجج التي لا يصغى إليها ولا يقام لها وزن فى نقد الآداب .

وأما أن يحقد علينا حاقد فينبغى من أجل ذلك أن يكون شوقى أحكم الشعراء صنعا وأعلاهم طبعا ، فلا . . . والحقد لا يضيرنا ولا ينفع شوقيا .ولا يحسب فى ميزان الأدب إلا فى كفة السيئات . ولا نعرف لشوقى ما يدعون من حسنات . يقول : ومعظم ما نقرأ من ثناء هؤلاء على شوقى إنما هو فى باطنه حقد على العقاد (١) وليس بحب لشوقى ولا تشيع لشوقى ولا كلامه ، وذلك ضرب من الرأى المعكوس ، معروف بين العجزة الذين يعييهم أن يقابلوك مقابلة الند للند ، ويعييهم أن يسلموا لك تسليم المنصفين فيعتصموا باسم من الأسماء يسترون وراءه أحقادهم وسخائم نفوسهم باسم العدل والغيرة والإعجاب . ويومئذ ينبغى أن يكون البياض سوادا ، لأنك وصفت البياض وينبغى أن يكون السواد بياضا لأنك وصفت السواد .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ص ١٧٢ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول العقاد:ولو أننى قلت يوما إن شوقيا اشعر شعراء الإنس والجن لكان أول من يتصدى لى هؤلاء الأبرار الأطهار الذيـــن يتمـــيزون اليوم من الغيظ لأننى أقول غير ما يقولون"فينشقون من الحقد "

أين هذه النزعة البادية فى شعر شوقى ومزاجه فى ناحية الجـد وفى ناحية الفكاهة وهى تكاد تكون معدومـــة فيـــه ؟ يقـــول مثـــلا فى الهرم :

هو من بناء الظلم إلا أنه يبيض وجه الظلم منه ويشرق

ويقول فى عبده الحامولى المطرب :

يسمع الليل منه فى الفجر يا

ليل فيصغى مستمهلا فى قراره

ويقول فى رثاء جورجى زيدان :

نوابغ الشرق هزوه لعل به

من الليالى جمود اليائس السالى

كل هذا ونحوه لا يدل على شاعر مطبوع وإنما هى الصنعـــة وحدها ! وإلا فأين هو شعر الطبيعـــة المميـــزة أو الخاصـــة فـــى ديوان شوقى .

وقال شوقى يمجد شكسبير الشاعر الإنجليزى [١]

ما أنجبت مثل شكسبير حـــاضرة ولا نمت بين كريم الطير غنـــاء

نالت به وحـــده إنجلـــترا شـــرفا ما لم تنل بالنجوم الكثر جـــوزاء

شعر من النسق الأعلـــى يؤيـــده من جانب الله إلـــهام وإيحـــاء ؟

---

[١] شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، العقاد ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من كل بيت كبيـــت الله تســكنه حقيقة من خيال الشـــعر غـراء
وكل معنى كعيسى فى محاســـنه جاءت به من نبات الشعر عذراء
أو قصة ككتاب الدهـــر جامعـة كلاهما فيـــه إضحـــاك وإبكـاء
ياصاحب العصر الخالى ألا خبر عن عالم الموت يرويه الألبـــاء
أما الحيـــاة فقـد وصفـت لنـا فهل لمـا بعـد تمثيـل وإدمـاء
بمن أماتك قلى كيـــف جمجمـة غبراء فى ظلمات الأرض جوفاء
كانت سماء بيان غـــير مقلعـة شؤبوبها عسل صاف وصـــهباء
وما الذى صنعت أيدى البلى بيـد لها إلى الغيب بـــالأقلام إيمـاء
واين تحت الثرى قلب جوانبـــه كأنـــهن لـواد الحـق أرجـــاء
تصغى إلـــى أذن البيـــان كمـا إلى النواقيس للرهبـــان إصغـاء

فما حاجة المسلمين إلى تمجيد شاعر بريطانيا الأكبر ؟ وفهم شوقى لشاعر بريطانيا كفهم عامة الناس من النظارة ، من أوساط النـــاس ولا جديد ولا طبع وإنما هى الصناعة اللفظية وحدها ، وهو فى هذا كله يحاول أن يقلل من شرور الإنجليز الغاصبين الناهبين المحتلـــين والله المعين . وفى معظم صورها البلاغية شرود غير قليل .

ويقول شوقى فى الربيع :

صفو أتيح فخذ لنفسك قســطها فالصفو ليس على المدى بمتـاح
واستأنسن من الســـقاة برفقـــة غر كأمثـــال النجـــوم صبـــاح
رقت كندمان الملوك خلالـــهم وتجملـــوا بمـــروءة وســـماح
ملك النبات فكـــل أرض داره تلقـــاه بـــالأعراس والأفـــراح
الورد فى سرر الغصون مفتح متقـــابل يثنـــى علـــى الفتـــاح

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مر النسيم بصفحتى مقبلا مر الشفاه على خدود ملاح
ينبيك مصرعه وكل زائل أن الحياة كغدوة ورواح

وحديث شوقى عن الربيع هو نفسه حديث العوام ، المتعة الحسية والراحة الجسدية فقط ، أما المتعة النفسية وربيع الوجدان إلى جانب ربيع النبات وربيع الأجواء فهذا ما لا يحس من شوقى يحسه ابن الرومى فى قوله يصور حنين الأبوة للرياض :

برتاض تخايل الأرض فيها خيلاء الفتاة فى الأبراد
منظر معجب تحية ألف ريحها ريح طيب الأولاد

وقد ضاق العقاد بعبارة (ندمان الملوك) .

كما يشبه ابن الرومى ميل الدنيا إلى البشر بشهوة الأنثى تتبرج للغرام فيقول :

تبرجت بعد حياء وخفر تبرج الأنثى تصدت للذكر

ثم يقول عن الدنيا أيضا فى فصل الربيع :

لبست فيه حفل زينتها الد نيا وراقت فى منظر فتان
فهى فى زينة البغى ولكن هى فى عفة الحصان الوزان

كان نقد العقاد لشوقى عنيفا فاستغله حاسدوه أبشع استغلال .

ولم يكن الربيع فى شعور ابن الرومى مروحة ولا سجادة ولا قيلولة ولا مجلس شراب كما يراه شوقى ولكنه كان انبعاثا ناميا للمشاعر والأحاسيس وثروة زاخرة فى النبات والأحياء .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الحقد على العقاد كان باديا من جماعة لا يحبون شوقى ، وإما يحقدون على العقاد على حد تعبير الناقد العملاق كاتب الشرق الأكبر عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد وكان بعضهم أساتذة فى أقسام متخصصة فى اللغة العربية ، أو بعض فروعها ، وكان الواحد من هؤلاء الحاقدين المدحورين ولله الحمد يقضى جزءا غير قليل من محاضراته الجامعية التي يتقاضى راتبه من الجامعة التي يعمل بها مقابل موضوعات تلك المحاضرات - فى الهجوم على العقاد بالباطل لا بالحق - ويخون الأمانة ويضيع الوقت ويتجنى على العقاد ويتهمه بالمرض النفسى لأنه لم يحصل إلا على الشهادة الابتدائية ، وكان يريد الدكتوراه [1] .

ومثل هذا الطعن الحقير شئ هابط ساقط تشمئز منه النفوس . ولا أصل له فى مشاعر العقاد لأنه كان معتدا بنفسه ولم يعرف الزمن له ندا فى زمانه فى الآداب والفنون ، وقد يكون شوقى وحافظ أرجح منه شاعرية ، ولكن العقاد كان يتوثق مما يقول على حين كان شوقى وحافظ يتسرعان كما فى رثاء حافظ لملك بريطانيا جورج الخامس بقوله :

إن الذى كانت الدنيا بقبضته ... أمسى من الأرض يحويه ذراعان
وغاب عن ملكه من لم تغب أبدا ... عن ملكه الشمس من عز وسلطان
ثم علم أنه لازال حيا

---

[1] الجمال عند العقاد ، د / عبد الفتاح الديدى ص ٢٧ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقاد وشانئوه :

كان العقاد رحمه الله تعالى عنيفا فى نقده لخصومه ، كـــان لا يترك من ينقده إلا أضحوكة يتندر بها المتندرون .

ولقد حاول أعداؤه أن ينالوا منه بالحق أو بالباطل ففشلوا . .

وبعض النقاد قد يجنح مع الأسف جهة الأســقاف فــى النقــد ، كالذى كتبه مصطفى صادق الرافعى فى كتابه على السفود [١]

وفيه حاول أن يجرد العقاد من كل إجادة ، ويصفــه بالشــاعر المراحيضى وأنه لص بارع فى إخفاء سرقاته إلا أنه عــاد فمدحــه وقال : إن ما جاء بكتابه على السفود رجس مــن عمــل الشــيطان وقال : وأما العقاد فإنى أكرهه وأحترمه ، أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه ، ولعله أعلم الناس بمكانى من الأدب فيتجــاهلنى ، حتــى لا أجرى معه فى عنان ، وأحترمه لأنه أديب قد اســتملك أداة الأدب ، قصر عمره وجهده على القراءة ، فلا ينفك بين كتاب وقلم [٢] ولقوة عقله وسلامة طبيعته تظل أراؤه متميزة عن أراء غيره من الكتــاب ولا يقبل أن يذوب فى غيره أو يتأثر به .

ويمضى الرافعى قائلا : أما أسلوب العقاد [٣] فأسلوب الأديــب الحكيم تبرز فيه الفكرة الدقيقة فى مجتلى من الفن الرفيع ، فيجمــع

---

(١) السفود فى اللغة : حديدة يشوى عليها اللحم .

(٢) التيارات المعاصرة فى النقد الأدبى ، د / بدوى طبانه ص ٥٩ .

(٣) مجلة الرسالة السنة الثامنة العدد ٣٥٨-٥ / ١٩٤٠ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بقوة تفكيره وقوة تعبيره طرفى البلاغة ، وهو أبعد الأدباء عن استخداد شهرته واستغلال إمضائه .

وللعقاد من أساليب العنف والشعور بالقوة ما لا يقف فى طريقة حملات الأفراد أو العصابات وهو رجل لا يملك إلا فنه وقلمه .

يقول عن حاسديه : إن نقاده مأجورون . قبضوا ثمن نقدهم له وتشهيرهم به وإن حكام البلاد هم الذين أغروهم بمهاجمته ، ثم يضرب الأمثال فيقول : " مصطفى أفندى الرافعى ألف كتابا للتشهير بى . . . سماه على السفود أفعمه بالطعن الفاحش ولم يتورع عن كذب ولا بذاء ، ولا تشويه ولا تحريف . فهل يعلم القراء فى أى شئ كان الجهاد النبيل ؟ سلوه عمن تعلم من أبنائه على نفقة الخاصة الملكية التي يديرها الأبراشى باشا ، وعما طبع من كتبه على نفقة الخاصة الملكية .

وإسماعيل أفندى مظهر لم يدخر من جهده شيئا فى التشهير بى والافتراء على ، وانتحال المزاعم الخاوية التي يسندها إلى فهل يدرى القارئ ماذا كان جزاؤه على هذه الحماسة الخالصة لوجه الله ؟ لم ينقض شهر على آخر ما كتبه فى ذمى حتى أصاب وظيفة كتابية فى المجمع اللغوى ينقدونه مرتبا لها مائتين وأربعين جنيها فى العام .

وهناك رجل اسمه غلاب ولا أدرى ما قبل ذلك أو بعده من الأسماء والألقاب فهذا الرجل الجاهل قد أسند إليه التدريس فى

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجامعة لأنه كان يطبع وريقة يسميها (النهضة الفكرية) ويملؤها بالغباء والبذاء بغية انتقاص طه حسين وعباس العقاد .

والشيخ زكى مبارك رجع إلى الجامعة المصرية بعد فصله منها زهاء خمس سنوات لأنهم استخدموه فى احتفال يقابلون به احتفال مصر بالنشيد القومى الذى نظمه فى مطلع هذا العام ، ولأنهم رضوا عما كتب فى غمز طه حسين وغمز العقاد من كلام معيب فى بعض الكتب والمقالات .

وهناك طبيب متشاعر (د / أحمد زكى أبو شادى) سمحوا له بإصدار خمس مجلات فى وقت واحد وهو موظف بإحدى المصالح الحكومية فجعل القسم الأدبى فى مجلاته كلها وقفا على التشهير بالعقاد وأدب العقاد وأخلاق العقاد .

وإلى الناس مثل من الإسفاف الذى ينحدر إليه الطبيب المؤتمن على الأرواح والأعراض ، ومثل من أدب الصحفيين الذين تغمرهم الوزارة بالرخص الكثيرة حين تضن على غير الموظفين برخصة واحدة لأنها حريصة على الآداب والأعراض أيضا .

جاء فى إحدى مجلاته قوله : " ومن الناس من يهيم بالإباحية ويؤمن بالشيوعية فى اللذات ومن ذلك قصيدة العقاد " ليلة الأربعاء " يصف فيها ليلة فى دار .

والقصيدة مع ذلك منشورة فى الصفحة الثمانين من مجموعة شعرى الكبيرة وليست سرا ولا أثرا خطيا مهجورا . فيجوز عليها الاختلاق والافتراء . وإنما قيلت فى وصف الإسكندرية .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليس هذا التلفيق الدنس بالذى يقع فيه الإنسان وهو جاهل بالحقيقة ، غافل عن معنى القصيدة وإنما يعتمده ويعتمد تشويه المعنى ، والتقديم والتأخير فى ترتيب الأبيات لينتزع أسباب التشهير انتزاعا من حيث لا موجب للتشهير . وهو أول من يعلم أنه كذاب ملفق مخادع لقرائه . وذلك حضيض من التبذل لا ينحدر إليه إلا المدخولون الموصومون ، والحق ما قال العقاد الذى عاش عمره كله عدوا للشيوعية فكيف يتهم بها ؟

وهكذا تبدو كلمات العقاد نارا محرقة لشانئيه وهو لا يكتفى فى ردوده عليهم بمجرد العبارات الأدبية التي يجيدها العقاد إجادة أخاذة بالألباب . وإنما يذكر معها الحقائق الدامغة الموثقة بأقوى الحجج وأصدق البراهين التي تطوق شانئيه بالأغلال الموثقة التي لا يستطيعون منها فكاكا .

فيتلفتون ذات اليمين وذات الشمال نادمين على ما اجترحته أيديهم وألسنتهم بغير حق .

ويبقى العقاد على الرغم من كل ما قيل فيه علم الأعلام فى أدبه ونقده وردوده على حاسديه ويصدق فيه قول زياد الأعجم :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا

كالبحر مهما تلق فى البحر يغرق

كان العقاد رحمه الله تعالى واثقا من صحة ما يقول ولذلك فقد حطم حاسديه فى الألقاب والأموال والأنساب . يقول :

أنا حاطم الأصنام والقبب ألحقت منها الرأس بالذنب

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـــى أمـــة الألقـــاب أســـبقهم سعيا بـــــلا نعـــت ولا لقـــب
فى أمـــــة الأمـــوال أتركـــهم بعدى بـــــلا مـــال ولا نشـــب
فى أمة الأنساب أنشـــــئ لـــى نســـبا مـــن العليـــاء والأدب
عجبا وقل ما شئت من عجـــب أنى شبيهك أنت فى عجبـــــى
هب تلكـــــم الأصنـــام واهبـــة لى عفوها بأسا من الغضـــــب
أتظـــن عـــابدهن مغتفـــــــرا صلواته فى غـــــابر الحقـــب

الناقد المنصف :

زعم بعض الأدباء أن الكاتب الفذ العبقـــرى العمـــلاق عبـــاس محمود إبراهيم مصطفى العقاد كان متجنيا على أمير الشعراء أحمـــد شوقى ، وقد ردد هذا أنصار شوقى ، وكان شوقى نفسه مع الأســـف يصف العقاد وجماعة الديوان بأنهم جماعة من الحاقدين الجـــاهلين ، وأنهم لا ينطقون إلا عن أحقاد وضغائن ، وقـــد تجلـــى هـــذا فـــى قصيدته العصماء التي رثى بها ، فيق دربه حافظ إبراهيـــم شـــاعر النيل سنة ١٩٣٢ م وكان أنصاره بصفة عامة يرددون مثـــل تلـــك الأباطيل ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

أما العقاد فكان نقده لشوقى مؤلما ، ولكن العجيب فى أمره أنـــه كان منصفا إلى أبعد غايات الإنصاف ، فنقده لشوقى فـــى وصـــف الربيع مثلا كان موضوعيا لأنه بين للناس أن وصف ضوقى للربيـــع لم يخرج عن وصف عوام الناس (الورد والأطيار والخضرة ومـــا شاكل تلك الأوصاف) وكان من يشم نسيم الربيع يذكر مـــا ذكـــره

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شوقى ، ولا يمتاز شوقى عن أى وصاف إلا بالصناعة اللفظيـــة ، يقول العقاد : شعر شوقى لا يصعب فهمه على أى إنســان تفتحـت نفسه للفهم والشعور [١] .

أما أن يقال أننا نتجنى على الرجل بإنكار ما نعلم من قـــدره ، فذاك زعم قد يزعمه من استحال عليه أن يفهم هذه البدائة ، فلم يبق له إلا أن ينتحل الظنون والتهم وكفى بذلك طموسا فى البصـــيرة ، وعجمة فى الذهن ، وفسولة فى الأخلاق ، وإلا فلماذا ننفس علـــى شوقى أو نتجنى عليه ونحن نعرف مئات من الشعراء خـــيرا منـه ولا نتمنى ان يعجب بنا واحد من المعجبين به ، ولو رشـــانا علـى قبول إعجابه ، إنما هو جهل يعوق أصحابه أن يفهموه كمـــا نفـهم فيحسبون أننا لابد لنا من الفهم كما يفهمون . كانت بيئة شوقى هـــى بيئة الترك الحاكمين فى مصر ، وهؤلاء يتمتعون بالذوق الجميـــل من أجل الترف الطويل ولم يكونوا مخترعين ولا مبدعيـــن . وهـم يعرفون الجمال فى الرياش والآنية والتحف لا فى الشـــعر . وهـم يأخذون عن التفرنج أزياءه ويجارون العصر فى ألوانه وســماته ولا يتصلون بغيرهم إلا بشعور الطبقة والوجاهة ، دون البواعث النفسية والخلجات الإنسانية . فهم أقل الناس فهما للذهن الأوروبى والعبقرية الأوروبية وإن كانوا فى شاراتهم أوروبيين أشد من الأوروبيين .

---

[١] شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ص ١٨٢ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان شوقى يدافع عن الأتراك بصلابة ، ومن أعجب دفاعه عنهم قوله فى الهمزية التي نظمها للمؤتمر الشرقى بمدينة جنيف :

واذكر الترك إنهم لم يطاعوا فترى الناس أحسنوا أم أساءوا
حكم دولة الجراكس عنهم وهى فى الدهر دولة عسراء
واستبدت بالأمر منهم فباشا الترك فى مصر آلة صماء
فيدارى يعصم العز منهم والمداراة حكمة ودهاء

يقول العقاد ليس أعجب من الاعتذار لحكومة لا تطاع وأنها عجزت عن الإحسان للرعية لأنها عجزت عن إقناع تلك الرعية بالطاعة وقبول الإحسان .

كان شوقى لا يعنيه فى مصر إلا الأتراك وأسرة محمد على،وشوقى وهو شاعر الخديوى ينتقل بهذه الصفة ممن عصر إلى عصر ، ومن دولة إلى دولة والسلطان عباس حسين والملك فؤاد،ولا ينسى شوقى البلاط الملكى حتى وهو يتحدث عن خاتم النبيين ﷺ ، يقول :

وقيل كل نبى عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم [1]

وقد كان شوقى موهوبا فى الشاعرية لأن الشعر هبة فى القرائح كهبة الجمال فى الوجوه ، هى من عند الله وحده ولكنه حصر نفسه فى شعر المناسبات الضيقة ، وقلما يتعداه ، فلم يتكلم كثيرا عن

---

[1] شعراء مصر وبيئاتهم ، العقاد ص ١٨٥ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعانى الإنسانيةَ وسجن نفسه فى شعر القصر . فلمـــا نفـى إلـ
أسبانيا وعاد من المنفى ظهرت له شخصية أخرى ، فقد أحس لنـ
شاعر الأمةَ الإسلاميةَ وبصفةَ خاصةَ فى السنوات الأخـــيرة مـ
عمره فراح يتحدث عن أمجاد المسلمين السليبة ، وعن شهدائهم وـ
أوروبا الذين قتلهم النصارى فيقول عن شهداء أدرنة :

يا أخت أندلس عليـــك ســـلام هوت الخلافةَ عنك والإســلام
عيسى سبيلك رحمةَ ومحبـــــةَ فى العالمين وعصمةَ وســلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امـوأ هان الضعاف عليه والأيتــام
أو ما تراهم ذبحوا جيرانـــــهم بين البيـــوت كأنـــهم أغنـام

وبكى أمير الشعراء طويلا على إلغاء الخلافةَ الإسلاميةَ على يـد كمال أتاتورك والتي تفرق المسلمون بعد إلغائها كحبات الرمال .

النزاهة فى نقد العقاد :

وبصفة عامة لم يكن العقاد متجنيا على شوقى وإنما كـــان يعمـد بإصرار إلى كشف عاهات شعره للنقاد .

وقد أصاب كبد الحقيقة فى الذوق والإحساس فى معظم ما قاله :

أما شوقى أمير الشعر العربى فقد كان حانقا على العقاد أشـــد الحنق مبغضا له أشد البغض !! .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد لازمه هذا الشعور إلى نهاية أجله لدرجة أن يقول فى رثاء حافظ سنة ١٩٣٢ م وهى السنة التي توفيا فيها معا وقد مات حافظ أولا : ، فقال شوقى فى رثائه :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى ... يا منصف الموتى من الأحياء
ووددت لو أنى فداك من الردى ... والجاهلون الحاقدون فدائى
الناطقون عن الضغينة والأذى ... الموغر والموتى على الأحياء
من كل هدام ويبنى مجده ... بكرائم الأنقاض والأشلاء
ما حطموك وإنما بك حطموا ... من ذا يحطم رفرف الجوزاء
يا حافظ الفصحى وحارس مجدها ... وإمام من تجلت من البلغاء

ويقول بعد المنفى لمن استقبلوه :

وحيا الله فقيانا سماحا ... كسوا عطفى من فخر ثيابا
ملائكة إذا حفوك يوما ... أحبك كل من تلقى وهابا
تلقونى بكل أعزازه ... كأن على أسرته شهابا
ووداعا أرض أندلس وهذا ... ثنائى إن رضيت به ثوابا
فأنت أرحتنى من كل أنف ... كأنف الميت فى النزع انتصابا
ومنظر كل خوان يرانى ... لوجه كالبغى رمى النفايا

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العاطفة الشعرية عند شوقى :

العاطفة الشعرية عند شوقى تقوى أحيانا وتضعف أحيانا أخرى، تقوى عندما يتجه شوقى إلى الحديث عن آلام النفس وآمالها بعيدا عن السياسة البريطانية وقصر الخديوى ، فإذا ما تسلل إلى شعوره الخوف من الظلم البريطانى والجبروت الاستعمارى ، ضعفت عاطفته فأتى بكلام يغلب عليه الهلع والجزع . فاللورد كرومر المندوب السامى البريطانى فى مصر بعد الاستعمار البريطانى البغيض سنة ١٨٨٢ م يسب النبى ﷺ بأبشع من أساليب أبى جهل ، لعن الله الاثنين ، فيرد عليه شوقى بعاطفة الخائف ، وهذا شئ متوقع لأنه ماذا يفعل المظلوم المغلوب على أمره الذى احتلت بلاده ونهبت أمواله وتهددت أعراضه ؟ وكرومر من عتاة المستعمرين وغلاة المجرمين ، يسب نبى المسلمين ﷺ ويدعو إلى نشر كرة القدم داخل المدارس وهدفه إشغال الطلاب بما يبعدهم عن تحصيل العلوم ، فيقول شوقى :

هل من نداك على المدارس أنها تذر العلوم وتأخذ الفتيولا
من سب دين محمد فمحمد متمكن عند الإله رسولا

وهذا رد واه ، والعاطفة الشعرية فيه ضعيفة لأن جرائم المستعمرين عاتية ، وعندما يأمن شوقى جانب الإنجليز مثلا يهاجم الاستعمار الفرنسى فى الشام فيقول :

وللمستعمرين وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترق
نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا فى الهم شرق

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويجمعنا إذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق
دم الأحرار تعرفه فرنسا وتعرف أنه نور وحق

فهذه عاطفة مشبوبة فى كراهية الظلم والظالمين ، والفرنسيون فى الشام لا فى مصر ، وإن كان الإنجليز حلفاءهم فى البغى والعدوان على حقوق المسلمين ، ولكن خوفه من الفرنسيين أقل من خوفه من اللورد كرومر الذى قال فيه بعد ارتكابه بعض المذابح فى مصر :

نيرون لو أدركت عهد كرومر لعرفت كيف تنفذ الأحكام

وشوقى إذ يخاف الإنجليز شأنه فى هذا شأن كل مغلوب فى القديم أو فى الحديث فى المشارق أو فى المغارب ، وقد تصل عاطفته عندما تضعف إلى حد مجاملة الإنجليز فيمدح أكبر شعراءهم شكسبير أحيانا ، ويمدح التاج البريطانى أحيانا أخرى ، وحافظ إبراهيم كشوقى فى هذا الاتجاه ، يقول حافظ :

إذا نطقت فقاع السجن متكأ وإن سكت فإن النفس لم تطب
أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشى على أرض من الذهب

وهو يشير إلى كلمة عمرو رضى الله عنه عن مصر : نيلها عجب وترابها ذهب وهى لمن غلب .

وتضعف عاطفة شوقى أيضا عندما يتحدث عن مصر ، حتى وهو يمدح خاتم النبيين محمدا ﷺ ، يقول :

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدحت المالكين فزدت قدرا فحين مدحتك اقتدت السحابا

فما شأن المالكين بمدح خاتم المرسلين ، وما ذكره يدل على ضعف شخصيته كما قال العقاد .

وتقوى عاطفته إذا ابتعد عن عصبيته للأتراك والقصر ومجاملة الإنجليز المستعمرين ، فترى عاطفة مشبوبة صادقة في حديثه عن نبى الرحمة ﷺ ولا عجب فهو مسلم صادق الإيمان يقول :

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الأنواء

وإذا عفوت فقادرا ومقدرا لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء

وإذا غضبت فإنما هى غضبة فى الحق لا ضغن ولا بغضاء

وإذا خطبت فللمنابر هزة تعر والندى وللقلوب بكاء

وإذا بنيت فخير زوج عشرة وإذا ابتنيت فدونك الآباء

وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما فى بردك الأصحاب والخلطاء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته فجميع عهدك ذمة ووفاء

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزه ما له شفعاء

وأحيانا تضعف عاطفته فيقول :

وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر وإذا جريت فإنك النكباء

فرسول الله ﷺ أكبر من تشبيهه بالغضنفر ، ولا يليق تشبيهه بالريح النكباء والله تعالى يقول : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وفى الحديث : " إنما أنا رحمة مهداة " ، وكذلك قوله :

Scanned by TapScanner

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا من له الأخلاق ما تهوى العلى

منها وما يتعشق الكبراء

ليس فى الإسلام كبراء وصغراء ، فالله تعالى يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفى الحديث : " الناس سواسية كأسنان المشط . . . " .

وصيغة كبراء قليلة الاستعمال وما جاء بها إلا للقافية .

وتقوى عاطفته فيقول :

جاءت فوحدت الزكاة سبيله حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حق الحياة سواء

ففى المسلمين كرماء وبخلاء وأغنياء وفقراء ، وعلى هذا النحو الجيد من العاطفة الصادقة المشبوبة يقول :

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاء

وهذا يناقض قوله : وما يتعشق الكبراء .

ومن قوة عاطفته قوله يصور غرور الحياة :

ومن يغتر بالدنيا فإنى لبست بها فأبليت الثيابا

جنيت بروضها وردا وشوكا وذقت بكأسها شهدا وصابا

فلم أر غير حكم الله حكما ولم أر دون باب الله بابا

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوحدة العضوية بين العقاد وشوقى :

أخذ العقاد على شوقى عدم تماسك شعره ، وفقدان الوحدة العضوية فى نظمه . (١)

يقول العقاد : إنه دعا إلى هذه الوحدة العضوية لأول مرة عند نقده لحافظ فى قصيدته التي مطلعها :

لقد فصل الدجى فمتى تنام أهم زاد نومك أم هيام

وقد قال يومئذ : إن الشاعر أخذ قطعة من الحرير وأخرى من المخمل وثالثة من الكتان وكل منها صالح لصناعة ثوب فاخر من نسجه ولونه ، ولكنها إذا جمعت فى كساء واحد فتلك مرقعة الدراويش (٢) .

ويقول فى نقد قصيدة شوقى فى رثاء مصطفى كامل كما سبق :

إن القصيدة يجب أن تكون عملا فنيا متكاملا ، وإلا فسدت وحدة الصنعة ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل بيت منها أو كل قسم مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغنى غيره فى موضعه .

إلا كما تغنى العين عن الأذن أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ، ولا قوام لفن بغير ذلك ، وحتى الهمج فإنك تراهم يلائمون بين الخرز فى تنسيق عقودهم ولا ينظمونها جزافا ، ومتى فقدت هذه الوحدة العضوية فى الشعر فاعلم أنه ألفاظ لا تنطوى على شعور متكامل .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى للعقاد ص ١٧١ .

(٢) أفيون الشعوب ص ١٥٤ ، عباس محمود العقاد .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا العيب موجود فى القصيدة العربية عامة ، لاعتمادها على البيت المفرد .

وإذا ظهرت هذه الخاصية (عدم ترابط أبيات القصيدة) بصورة واضحة فهذا أول دليل على فقدان الخاطر المؤلف بينها ، وجفاف السليقة عند الشاعر .

وبهذا تبدو القصيدة كالرمل المهيل ، لا يغير منه أن يجعل عاليه سافله أو العكس .

لا كالبناء المقسم الذى ينبيك النظر إليه عن هندسته وسكانه ومزاياه .

وضرب لذلك مثلا بقصيدة شوقى فى رثاء مصطفى كامل كما رتبها صاحبها فإننا لو غيرنا ترتيبها بآخر يبتعد جد الابتعاد عن الترتيب الأول ، لتبين أنها أبيات مشتتة لا روح فيها ولا سياق ولا شعور يؤلف بينها ، والأمر كما قال العقاد ذلك لأن شوقى كان ممزق النفس فى رثائه لهذا البطل العملاق ، أمامه شعور الوفاء لقائد خدم أمته فقتله المستعمرون .

ورغبة رعاياه أجمعين فى البكاء عليه ، وشعور الولاء لقصر الخديوى . . عدو الزعيم الفقيد .

فاضطربت مشاعر الشاعر فتفكك شعره لأنه كان حريصا على إرضاء الخديوى وإرضاء الشعب ورضا الناس جميعا غاية لا تدرك فتهلهل شعره وصح للناس ما يقول عباس محمود العقاد بل وما هو أكثر .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونستطيع القول إن شوقى كان يستحق نقدا أعنف مما قاله العقاد لأن العبودية للسلطات الجائرة من افتك أمراض النفس الإنسانية ،وكذلك كان شوقى فى صدر حياته ثم ولى وجهه وجهة صحيحة جهة الأمة الإسلامية كلها قبل وفاته . ورحم الله الشاعر والناقد الشاعر . كان العقاد يتجه إلى الوحدة النفسية الشعورية والفكرية [١] وعذر شوقى أنه كان يقلد القدماء الذين لا يحافظون على هذه الوحدة ،بيد أن الإنجليز مثلا كانت وحدة الشعر عندهم وحدة القصيدة ، وكانت عند العرب الأقدمين وحدة البيت . ووحدة الكل أنفع للناس ! وأحمد شوقى فيه عنصر تركى لا ينساه ولا ينسى القصر ، ولعله أراد أن يكفر عن نفسه هجاء عرابى فرثى مصطفى كامل فكان رثاؤه غثا باردا .

شوقى واستقلال الشخصية :

وصف العقاد شوقى بأنه ليس شخصية مستقلة فى شعره كما كان المتنبى مثلا [٢] لقد هبط شعر الشخصية بشعر شوقى ، وكان العقاد والناس يريدون شوقى شخصية مستقلة عن القصر وعن الخديوى ، وأنى له ذلك وهو ربيب الخديوى ؟ لقد كان العقاد والناس يريدون من شوقى " فى صدر حياته " شعرا يعبر عن نفسيته هو وروحه وأهميته فى الحياة وقبول ما فيها أو رفضه .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول العقاد : إنك إذا قرأت شعر شوقى كله لتستخرج من ثناياه شخصية مستقلة اسمها شوقى يخالف الآخرين لأعياك العثور عليه ولكنك تجد خلقا تسميهم ما شئت من أسماء . وشوقى واحد من هذه الأسماء ، وشعر الشخصية يعطيك الحياة كما يحسها الشاعر نفسه لاكما تنقلها بالسماع والمجاورة ، والشعر يتطلب الخصوص والامتياز عن الآخرين ، على أننا لا نريد حديثه عن تاريخ ميلاده أ أو عن أصله وفرعه أو أساتذته وتلاميذه، وما شاكل ذلك من الأبناء ولكن من الضرورى معرفة شخصيته ومزاجه ، ما هو وما الدنيا التي كان يحياها ، وتلوح لعينيه وتقع فى روعه وتتمثل لخياله ؟

يقول العقاد : وأنت ترى أن الغزل (مثلا) فن مباح للشعراء جميعا . ولكن غزل المتنبى غير غزل الشعراء ، وهو وحده الذى يقول حين يتغزل كما أشرنا :

زودينا من حسن وجهك مادا م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك فى هذه الدنيا فإن المقام فيها قليل

يقول : وهو كلام مطبوع لا زيف فيه ، ولكنه كذلك كلام المتنبى الحكيم المعتد بنفسه العالم بمصير الحياة ومصير الجمال . وأرض قنسرين لم يعبرها المتنبى وحده ، ولكنه قال يخاطب أسد ذاك الغيل :

أجارك يا أسد الفراديس مكرم فتسكن نفسى أم مهان فمسلم
ورائى وقدامى عداة كثيرة أحاذر من لص ومنك ومنهم
فهل لك فى حلفى على ما أريده فإنى بأسباب المعيشة أعلم

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا لأتاك الرزق من كل وجهـــة وأثريت مما تغنمن واغنـــم

وهل غير التنبى كان يخطر له ذك الخاطر وهو فى جانب ذلك الغيل ، إنها الشاعرية المطبوعة المتدفقة ، إنها صورة مـــن حياة الرجل وطبعه وتجاربه وآمال هواه .

يقول العملاق (العقاد) : إنما يستحق الشعر أن يحفظ ويسمع حين يكون كهذا الشعر الذى يرينا ما فى الدنيا وما هو داخل نفس الإنسان على لون صادق ، ولكنه بديع فريد لأنه لون شـــاعر دون سواه ، ويقول : وضياع الشخصية فى شعر شوقى أدى إلى كثير من الأشياء الخاطئة منها أن شخصيات ممدوحيه أيضا غير متميزة فعلى كثرة ما قال فى الأمير عباس حلمى الثانى لا يعـــرف النـــاس عن هذا الأمير على الرغم من شعره الكثير فيه شيئا يذكر ، يقول :

وهذه مدائحه فى عباس موجودة محفوظة ، من خالفنا فـــى رأينا فليس هناك ما يمنعه من أن يثبت منها ما يخالفنا .

إن شخصية العقاد عملاقة جدا أو هى أكبر من ذلـــك ، وهكـذا شأن رجالات التاريخ ، ويمضى قائلا : وكذلك الحال بالنسبة لغـير عباس [1] من الذين مدحهم شوقى أو رثاهم .

يقول : ومراثيه كمدائحه وكل ما فيها أنها تبدأ بأسماء المرثيـن لا وضوح فى جوهر الصفة أو جوهر الرثاء وليس لأبطاله ملامـح واضحة تحدد كلامهم ، وقد سقطت من أجل هذا جميع شـــخصياته

---

[1] عباس حلمى الثانى حكم مصر بعد وفاة أبيه توفيق سنة ١٨٩٢ ، ثم عزلـــه الإنجليز سنة ١٩١٤ عند قيام الحرب العالمية الأولى ونفوه إلى خارج مصر .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التمثيلية إلا ما أقامه التاريخ والهوى (مجنـــون ليلـــى وأنطونيـــو وكيلوباترا) .

ولو كان لتصويره للشخوص قوة مستمدة من خياله وحسه لا من السمعة التاريخية والغرامية لما انفرد هؤلاء بالظهور والإقبال ومـــا كان لخفاء الشخصيات فى الروايات والمدائح والمراثى التي فاه بـــها شوقى من علة غير خفاء الشخصية فى نفسه [١] .

وكان لهذا العامل أثره كذلك فى وصف الكون والحياة والنـــاس فالرياض عنده والخمائل والجداول والأنهار والســـماوات والأرض هى بعينها رياض زوار فى الأجازات لا تزيد ولا تنقـــص فليـــس للآجام عنده ميزة عن الأنهار ولا للأنهار ميزة عن الآجام .

وليس شعور القوة والجيشان عنده أوضح وأظهر من شـــعور الدعة والسكينة والاسترسال فى الأحلام وشوقى فى نظـــر العقـــاد كعامة الناس .

وليس من الخاصة أن أصحاب المواهب الرفيعة والأحاســـيس المرهفة ومن ثـــم فـــهو شـــاعر اللفـــظ والصياغـــة لا العواطـــف والأحاسيس يقول العقاد : وقد امتاز شوقى عن غـــيره بالصياغـــة لطول التدريب فى قرض الشعر ، كقوله فى الهرم :

هو من بناء الظلم إلا أنه يبيض وجه الظلم منه ويشرق

أو قوله فى كشف آثار توت عنخ آمون :

---

[١] شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، عباس محمود العقاد ص ١٦٥ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفضى إلى ختم الزمـــان ففضـــه وحبا إلى التاريخ فى محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى أتى فرعون بين طعامـــه وشرابه

وهذا شئ برع فيه شوقى لأنه تفرغ لصناعة النظم لمدة أربعين عاما تقريبا ، والزعم ببياض وإشراق وجه الظلم خطأ محض ، ويوازن العقاد بين براعة شوقى فى شعر الصياغة وبين ابن الرومى الذى أوتى من دقة المشاعر فى وصف الطبيعة الشئ الكثير ، يقول فى وصف الربيع :

تجد الوحـــوش بـــه كفايتـــها والطير فيه عديـــدة الطعم
فظبـــاؤه تضحـــى بمنتطـــح وحمامه يضحى بمختصـــم

فلم يتصور ابن الرومى الربيع الجميل متعة حسية ولا وشيا ولا زينة ، ولكنه تصوره ذخيرة نامية حتى الوحوش والطيور والظباء والحمام تراه مرحا متفجرا يضيق به نطاق الحياة ، فإذا هى تختصم فى قوة ولعب وإذا بها تعاف الراحة . فتبذل بعض ما عندهـــا مـــن نشاط فى النطاح والتخاصم ، وهكذا الوحوش دائما إذا شبعت .

ولو رأى الشوقيون ألف ربيع فوق هذه الأرض لما خطر لـــهم النطاح أو الخصام معنى من المعـــانى الربيعيـــة التـــي يســـتوحيها الشعراء من موسم الحياة . لأنهم لا يحسون بالربيع إلا فى النعومة فى إهاب الكون ، فماذا عندهم من لطافة الشاعرية ودقة الشعور .

وكذلك يتهم العقاد أمير الشعراء بأنه تجمد فى صيغة الوظيفـــة فأصبح متأثرا بغيره من الأتراك الممتصرين المتفرنجين الذين مسوا

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التفرنج مسا خفيفا . وعنوا بالجامعة الإسلامية لأنهم يسوغون من خلالها سيطرتهم على المسلمين ، ولكنهم لا يجدون هذه المنزلة فى العصبية الوطنية وقد فشلوا فى كلتيهما .

وعلى ذلك فقد آثر شوقى التفرنج والترف ولو ظاهريا فقط ، والاتجاه الإسلامى الذى ظهر أخيرا فى شعر شوقى هو أثر من آثار تلك الطبقة من الأتراك التي ينتمى إليها شوقى بعناصره وهواه ، فكان ينظم فى الخلافة وحوادث الدولة العثمانية ، ويدافع عن الحكم التركى ويبكى على هزائم العثمانيين أمام الشيوعيين والصليبيين ، وإذا مدح شوقى الخديوى (عباس حلمى الثانى) فلأنه تركى الأصل لا علاقة له بالشعب والسلالات الوطنية ، وترى هذا أيضا فى قصائده التاريخية من عصر إلى عصر حتى يصل إلى الإسلام ، ولم ينس البلاط أبدا حتى وهو يصف السماء فقال فى مدح النبى ﷺ :

وقيل كل نبى عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم

يقول العقاد : وتبدو شاعرية شوقى ككسوة التشريفة يلبسها كل لابس ويبدو فيها كما وضعه المنصب لا كما خلقه الله تعالى ، وبهذا خلا شعر شوقى من ملامح الشخصية الذاتية وفقا للنتائج التي استخلصها العقاد من شعره ، فهو ليس مطبوعا وإنما شاعر مصنوع ، وانتهى الأمر وهو شاعر الأمير والترف والقصور . وما قاله العقاد عن شوقى ليس بعيدا عن الصواب ، وإن رأى البعض غير ذلك .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقاد والمتنبى :

يرى العقاد أن المتنبى كان مولعا بالتصغير وهذه تعتقر مع محاسنه الجمة ، وهو بحق أعجوبة الدنيا وشاغل الناس ، ويقول: كان المتنبى يستعظم نفسه على الشعر وعلى الكسب عن طريق المديح والتزلف إلى الملوك والأمراء ، وكان يرى أنه خلق لما هو أجل من ذلك ، وعظمة المتنبى كانت فى نفسه ، وقد كان مطبوعا على غرار رجال القيادة ورجال المطامع . كان لديه استعداد عظماء الرجال ولكن بغير أداة العظمة فجاء عظيما فى عالم الشعر لا السياسة ، وأكثر ما يرى المتنبى مصغرا حين يهجو مغيظا محنقا أو يستخف متعاليا محتقرا ، يقول :

ونام الخويدم عن ليلنا وقد نام قبل عمى لا كرى

ويقول فى كافور :

أولى اللئام كويفير بمعذرة فى كل لؤم وبعض العذر تفنيد [1]

ويقول عن منافسيه من الشعراء :

أفى كل يوم تحت جنبى شويعر

ضعيف يقاوينى قصير يطاول

ويقول عن أهل زمانه :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

ويكاد شعر المتنبى كله يكون تعبيرا عن شعوره بالعظمة ، ذلك الشعور الذى استحوذ على مجامع نفسه ، وهذه الصفة هى السبب

---

(١) ديوان المتنبى ص ٥٠٨ ، دار صادر .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى شهرته وصيرورة كلامه فى الحياة ولكنها لم تكن السبب الوحيد ،فهناك من لا يحصون من الحاسدين له حتى يتخيل أن الكون كله من حاسديه فى عصر كثر فيه التحاسد والتنافس ،وقد استطاع المتنبى على الرغم من هذا البلاء أن يعطى صورة كاملة للحياة من حوله،وشرع للناس مذهبا خاصا فى الحياة . وذلك هو الشاعر الذى يندر أن يجود الزمان بمثله فى الدهور المتطاولة والأجيال المتتابعة

وقد صور المتنبى عصره وكشف عن خباياه فأبرزها للعين بصفوها وكدرها كقوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله

وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وقوله :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عن مامضى منها وما يتوقع

ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

وغير ذلك كثير ولهذا صار شعره على كل لسان ، ولقى من يؤمن عليه فى كل مكان وزمان ، لقد كان قوى الطبع قوى النفس يتمتع بشخصية قوية وتجارب كثيرة مريرة احتاج الناس إلى الاستشهاد بحكمه وأمثاله وتنافس الأمراء على استماع مدائحه ، وكثر حساده مع الأسف الشديد .

هذه هى الخصائص التي انفرد المتنبى بجمعها فأشاعت ذكره وحفظت شعره وأنالته فى الأدب العربى مكانة لم يصل إليها شاعر سواه وهو بذلك يشبه الشعراء الخالدين فى المشارق والمغارب ،

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولعله هو الذى أثر فى شعراء المشارق والمغارب بعد مؤثرات أخرى فى بيئاتهم . وخلاصة مذهبه فى الحياة أنها حرب ضروس علاقة الإنسان فيها بالإنسان علاقة المحارب بالمحارب لا مكان فيها لغير القوة أو الحيلة التي هى نوع من القوة ، وهذه الحرب العنيفة ليست من أجل اللذة والسرور لكن من أجل العز والسيادة والإجبار والقهر والهيمنة على ثروات الأمم وليس فى طبع المتنبى مناقضة للملذات . ولكنه يراها فيما لا يصمم ولا يعوق عن طلب المجد والعزة ولذلك فلا يعطيها غير ساعة ، يقول :

وللخود منى ساعة ثم بيننا فلاة إلى غير اللقاء تجاب

وهو يسعى لطلب المال لأنه وسيلة إلى المجد ، وكل الحكم فى شعره مردها إلى نظرة القوة فى حياته .

وقد نظر الفيلسوف الألمانى نيتشه فى شعر المتنبى وعرف وجهته فاقتفى أثره .

يقول العقاد : فمن قرأ شعر المتنبى لا يسعه أن ينسى نيتشه ، ومن قرأ نيتشه لا يسعه أن ينسى المتنبى ، وقد ضرب العقاد أمثلة من شعر المتنبى وقارنها بأمثلة من كلام نيتشه ، وشعر المتنبى قطعة من نفسه ، ولذلك كانت عليه سمات القوة والطبع بلا تصنع ولا تذويق ، وهو يصور الواقع الأليم فأعداؤه الحاقدون يزعمون أنه قتل أو مات وأنهم شاركوا فى مواراته الثرى ثم ظهرت الحقيقة التي أزعجتهم ، المتنبى حى يرزق ، بل ويشارك فى دفنهم إنهم يشتهون قتله وما كل ما يتمنى المرء يدركه ، يقول لسيف الدولة :

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا من نعيت على بعد بمجلسه ... كل بما زعم النعاون مرتهن
كم قد قتلت وكم قدمت عندكم ... ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفنى قبل قولهم ... جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

هذه هى الحياة بما فيها من أضغان وأحقاد يجب مواجهتها بالقوة لا بسواها :

وما سكنى سوى قتل الأعادى ... فهل من زورة تشفى القلوبا
تظل الطير منها فى حديث ... تردده الصراصر والنعيبا
وقد لبست دماءهم عليهم ... حدادا لم تشق له جيوبا

العقاد وابن الرومى :

درس العقاد حياة ابن الرومى فى كتابه (ابن الرومى حياته من شعره) م ٢٨٣ هـ وقد تحدث فى هذا الكتاب عن عصر ابن الرومى ، وحياته ، كما ذكرتها كتب التراجم التاريخية المختلفة وأعطى الناس صورة واضحة للحياة السياسية والاجتماعية والخلقية والعلمية والدينية والأدبية لذلك العصر الكئيب ، ثم راح العقاد يكشف عن خبايا نفسية ابن الرومى وصلاته بمن عرفهم من الناس من العامة والخاصة من العلماء والشعراء ، والكبراء والأمراء ، والوزراء والخلفاء .

وقد لاحظ قلة أخباره عن عمد من المؤرخين الذين ترجموا لمن هم دونه ترجمات أوسع من ترجمتهم له ، وقد حاول العقاد أن يكمل

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النقص فى حياة ابن الرومى ، وصفاته الجسدية والخلقية من شعره فقد كان شعره صورة واضحة لحياته وشخصيته لأنه اهتم بنفسه وفصل فيها القول تفصيلا وأشار العقاد إلى أن دراسته لابن الرومى ليس مجرد ترجمة له وإن كانت من أغراض الدراسة . وقال إن ديوان ابن الرومى قد تجاوز حد الترجمة الباطنية إلى التاريخية لشدة الامتزاج بين حياته وشعره .

وقال إن ابن الرومى كان يذكر العيوب الجسدية لمن يهجوهم ، وهذا دليل على سلامته من تلك العيوب فى خلقته وفى وجهه خاصة ، ولو كانت فيه تلك العيوب لعيروه بها ولرد عليهم ثانية . والأقرب إلى الترجيح أنه لم يكن ذا عيب بارز ولا حسنة ظاهرة ، وما هو ظاهر الحسن ، ولا ظاهر التشويه .

فأما طبائعه النفسية فقد كان مسرفا مستقصيا بغير ضابط ولا عزيمة إسراف واستقصاء فى كل شئ ، !!فى النكتة ، وفى المعنى ، وفى الدرس ، وفى الطعام والشراب والشهوات لا حد لهذا كله إلا البشم والامتلاء ، والاستنفاد لما بين يديه من متاع (١) .

ومرد ذلك كله إلى توفر الحس ، والاندفاع مع الرغبة العارمة فى المتاع ، ولو أن هذه الرغبة شفعت بشئ من قوة العزيمة لاعتدلت حاله ولو بعض الاعتدال . وسلم ماله ولو بعض السلامة ، ولكنه إذا أراد شيئا لا يفكر فى قابل أو غابر . ولا تجدى الحكمة والحصافة لديه فى إيقاف ما يزينه له حسه وخياله .

---

(١) ابن الرومى حياته من شعره ، عباس محمود العقاد ص ١١٩ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول العقاد : ابن الرومى من أصحاب الأمزجة المتغيرة التي لا تركن إلى قاعدة معينة فى أعمالها وأحوالها ، وبذلك كان يأتى بالعجائب والغرائب فى كل لحظة ، يجتمع لديه العنف العصبى والوداعة العصبية فى إهاب واحد ، وقد يعنف اللطيف ويلطف العنيف .

وقد عرف عنه السخرية وهو دقيق الملاحظة حساس عميق المشاعر ، وهو لا يبارى فى سخريته وعابث مطبوع على العبث فى كل شئ حتى صاحبه ونفسه ، وكثير من الصور الهزلية تبدو واضحة فى شعره بطريقة لا تتوفر فى شعر شاعر آخر من شعراء العالم كله كما يقول العقاد ، ولم تكن سخريته عن حقد كامن فى نفسه ولا عن خبث دفين بل كانت كسخرية الأطفال وتهكماتهم ولم يحمل ضغينة لأحد بل كان يصفح عن اشد أعدائه ، عفا الله عنه .

وحاول العقاد أن ينصف ابن الرومى من اتهام القدماء له بأنه حسود حقود وفرق العقاد بينهما ودفع العقاد عنه التهمة فى سلوكه وخلقه ، وتحدث العقاد عن معيشته وغناه وفقره . وما عاناه فى حياته من طلب المال ، ومراوغة الرؤساء فى قضاء حاجاته ، أو توليته منصبا مما كان يصبو إليه ولم ينل منه شيئا .

ويقول عنه العقاد : إنه كان قليل الحيلة وكان عصره عصر احتيال ودهاء ، ولم يكن فيه مكان لمن قلت حيلته ، وكان ابن الرومى أعزل غريب الأطوار ، وثقلت عليه صدمات الخيبة والفشل

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وساء ظنه بالناس فوهن ما فيه من بقية غزل الشباب وعاف السعى وانطوى على ما يشبه اليأس حتى مات (١) .

العقاد وبيئات الشعراء :

تحدث العقاد عن أثر البيئة على الشاعر وأنها تساعد على صناعة لون معين من الشعر ، وللبيئة اثر أيضا فى الموضوعات التي يطرقها الشعراء (٢) . وأثر البيئة يبدو فى تكوين شخصية الشاعر ونفسيته ، وتأثير البيئة على الشعر ليس تأثيرا باتا قاطعا يستطيع الشاعر التخلص منه ، بدليل أن البدوى إذا تحضر ظهرت آثار جديدة فى شعره وأفكاره ومعانيه ، والبدوى إذا تحضر راج فى الحاضرة والبادية ، أما الحضرى ففى الغالب لا يستطيع إجادة حياة البادية فمن تبدى عانى منه البدو وعانى منهم ولم يلتقيا أبدا ، ولكنه خادعهم إلى حين لتسيير أموره والحصول منهم على منافع .

والعقاد يرى أن بيئة شوقى مثلا قد أثرت فيه تأثيرا خاصا ، لأن تأثير البيئة الحضرية على أهلها شديد ، ولا يستطيع الحضر التخلص من أخطائهم لأنهم يرونها حضارة وتقدما ، وقد تكون على عكس ذلك تماما كتبرج نسائهم مثلا ومخالطتهم للرجال وصداقتهن لهم . ووقوعهن فى شرك التدخين ونحوه ، ومن تأثير البيئة على شوقى أنه شاعر بلاطى من رجال البلاط الملكى ، يتصور الحياة

---

(١) ساعات بين الكتب ص ٤١ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، عباس محمود العقاد ص ٦٩ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من خلال البلاط ، ودرس العقاد أيضا أثر البيئة على غير شـــوقى من الشعراء .

وأقام العقاد أيضا للبيئة نفسها على شخصية المتنبى م ٣٥٤ هـــ فرأى أن بيئة القرن الرابع الهجرى كانت بيئة قهر وقلق واضطراب فى كل شئ سياسيا وفكريا ودينيـــا ، لقيـــام القرامطـــة والشـــيعة وأشباههما بحركات عنيفة أدت فى النهاية إلى سقوط بغداد فى ايـدى الوثنيين كل ذلك بجانب تنوع الثقافات ، واهتمامات الناس بـــالمنطق والفلسفة وظهور أمثال الفارابى ، كل ذلك ترك آثارا على شـــخصية المتنبى فأراد أن يبلغ بمواهبه وملكاته درجة الإمارة والولاية ، بعـــد أن رأى غيره ممن لا مواهب لديهم يتولون الإمارة والولاية ونعمـــوا بالسلطان والعيش الرغيد ، ولما لم يستطع الوصول إلى بغيته كانت له فلسفة القوة ممتزجة بأحداث عصره وبيئته .

وكذلك الحال فى ابن الرومى رأى العقاد أن صـــور الفشـــل التي منى بها أدت إلى عدم تلاؤمه مع الناس فى زمانه ، فهو قليـــل الحيلة مفتقر إلى الدهاء فى عصر كان فيه النزاع على الدنيا علـــى أشده ، ولا يستطيع البقاء إلا من كان على قدر من الحيلة والدهـــاء أو له قوة من مال أو سلطان ، أو قادر على المكـــر والمراوغـــة ، ولأن ابن الرومى يميل إلى الصراحة فقد فشل فى الحياة فشلا ذريعا ، وكان فشله هذا من أسباب تعقد نفسيته فظهر فى شعره آلام كبـــار فلجأ إلى السخرية والتشاؤم والتطير ، يقول :

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آبائى الروم توفيل وتوفلس ولم يلدنى ربعى لا ولا شيث (١)

ويقول : وهكذا يرى العقاد أن الزمان والمكان (البيئة) لهما أ
واضح على نفسية الشاعر وإنتاجه الفنى من حيث كون البيئة م
مكونات الشخصية لا من حيث كونها مستقلة عن ذات الأدي
وشخصه فهو يدرس أثرها من خلال شخصية الشاعر .

ويقول أحد تلاميذ العقاد (محمد خليفة التونسى) إن العقا
ينظر إلى أثر البيئات والعصور وتقلبات التاريخ والحرب والس
والانتصارات والهزائم ، والاختراعات والنهضات والانتكاسا
والاقتصاديات والأخلاق والسياسات والآداب والفنون والفلسفا
والتراث الإنسانى كله من خلال بواعثه فى نفسية الشاعر ، فكل
عمل إنسانى مصدره النفوس .

فالعقاد لا ينظر إلى أى مظهر إنسانى مبتور عن جذوره فى
نفس صاحبه فردا كان أو جماعة ويمضى قدما فى تفسيره داخل
نفس الإنسان ولا يبالى ألا يخضع فى ذلك لمنطق العقل أو تجربة
المعمل .

---

(١) يا عائبا كل شئ وكل ما فيه عيب
قد تحسن الروم شعرا ما أحسنته الغريب
يا منكر المجد فيهم أليس منه صهيب

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسس نقد العقاد :

إن الحياة لا تحيط بها تجربة العقل أو المعمل ، وإن أساس نقد العقاد فطرة الإنسان ، وخبراته الفنية ، وهو يفتش داخل النفس الإنسانية عن كل ما يصدر عنها ، ولا يرفض الاستعانة بالتاريخ والجغرافيا وعلم النفس والطب ودراسة الحشرات والنباتات والنصوص ، وكل ما توفر عليه من معرفة لم تتوفر لغيره من قدمائنا ومعاصرينا كما يقول تلميذه (محمد خليفة) يستخدم معارفه الواسعة :يتمكن من الإحساس بالموضوع أولا ثم يكشف عما أحس به للقراء دون اعتماد جوهرى على المصطلحات ، فهو إذن لا يقف عند منهج معين من المناهج المدرسية الشائعة عند غيره من النقاد ، وقد كان العقاد موضوعيا فى كل ما كتب وكان حرا عربيا أصيلا فى نقده ولم يتبع مذاهب الغربيين فى النقد وإن كان قد استفاد منها كثيرا ولهذا تكاثر عليه الحاسدون كما تكاثروا على المتنبى والعباقرة فى كل جيل ، ولذلك رأيناه يصور آلامه منهم فيقول :

جزاكم الله خيرا يا معشر اللؤماء
عوتمونى صبرا على ضروب المراء
من يألف الشر يسلم من لدغة الرقطاء

وفى دراسة العقاد لنفسية أبى نواس يجنح إلى التحليل النفسى عندما أعاد ميوله إلى عقدة النرجسية أو عبادة النفس ، أو الإعجاب إلى حد العبادة للذات ، وقد دعاه ذلك إلى شرور كثيرة كالغزل بالغلمان وغيرهم . ويبدو أنه أصيب صغيرا بعقدة أوديب ، فكان

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موقفه من المرأة شديد التعقيد وهكذا يستفيد العقـــاد مـن مختلف مدارس النقد الحديث الرومانســـية ، والاجتماعيـــة ، والإنسـانية والنفسية مدعما هذا كله بالتحليل العلمى العميق الجـــذور والملائم للنفس الإنسانية ، فسقى الله جدثه بشآبيب الرحمات .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوصفية التحليلية

طه حسين والبحث عن جماليات العربية

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النقد التحليلى عند طه حسين :

الدكتور طه حسين :

ولد قاهر الظلام الأديب العملاق طه حسين فى وسط الصعيد فى جمهورية مصر العربية فى محافظة المنيا جنوب القاهرة بثلاثمائة كيلو متر تقريبا ، حفظ القرآن الكريم فى سنواته الأولى ثم أرسله أبوه إلى الأزهر الشريف شأنه فى هذا شأن النابغين من أطفال مصر يوم ذاك وبصفة خاصة الريف المصرى ، فمن حفظ القرآن الكريم مبكرا رفض أبوه بشدة إلحاقه بغير الازهر الشريف بمن دور العلم ، وكان يقرأ له أخوه الذى توفى وهو فى الثامنة عشرة من عمره وبكاه طه حسين بدموع غزار .

كف بصره وهو صغير ، وهذا قدره فكان العلاج معدوما فى القرية المصرية يومئذ ، أو فى أكثر القرى البعيدة عن المدن ، وشكا طه حسين مر الشكوى من شيخه الذى كان يحفظه القرآن الكريم فقد كان جبارا شرها كذوبا يحلف الأيمان الفاجرة ، وشكا مر الشكوى أيضا من بعض شيوخه فى الأزهر .

فاتجه إلى جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة العربية ومن هناك أرسل إلى فرنسا حيث حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون .

ثم عاد أستاذا بجامعة القاهرة فى كلية الآداب ، ثم عين وزيرا للمعارف قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر وهو صاحب الكلمة المشهورة : العلم حق لكل مواطن كالماء والهواء .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والدكتور طه حسين فرنسى الثقافة وهو إلى حد كبير فرنسى التفكير يميل إلى منهج الشك فى كل شئ وهو متأثر فى هذا بالفيلسوف الفرنسى ديكارت ، والدكتور طه حسين متزوج من فرنسية وميله واضح لفرنسا وللثقافة الغربية كلها ، ولهذا رأيناه يشك فى الأدب الجاهلى كله ، يقول : فأول شئ أفجؤك به فى هذا الحديث هو أننى شككت فى قيمة الأدب الجاهلى وألححت فى الشك أو قل ألح على الشك ، فأخذت أبحث وأفكر ، وأقرأ وأتدبر حتى انتهى بى هذا كله إلى شئ إلا يكن يقينا فهو قريب من اليقين .

ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليس من الجاهلية فى شئ وإنما هى منحولة بعد ظهور الإسلام ، فهى إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين ، ولا أكاد أشك فى أن ما بقى من الأدب الجاهلى الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا ولا يدل على شئ ، ولا ينبغى الاعتماد عليه فى استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا الأدب الجاهلى .

ثم يقول فى تحد بين : وأنا اقدر النتائج الخطيرة لهذه النظرية ولكنى مع ذلك لا أتردد فى إثباتها وإذاعتها ، ولا أضعف أن أعلن إليك وإلى غيرك من القراء : أن ما تقرؤه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم ، أو عنترة ليس من هؤلاء الناس فى شئ ، وإنما هو نحل الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين ، ويقول والعصر الجاهلى القريب من الإسلام لم يضع هذا الشعر .. ويمكن

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصوره بشرط ألا نعتمد على الشعر بل على القـــرآن مـــن ناحيـــة والتاريخ والأساطير من ناحية أخرى [١] .

وقد تكاثرت الردود على طه حسين وبين له أن نظريتـــه فـــى الانتحال هى جوهر الخرافات والأساطير وقيل برجوعه عنها تماما

يعتبر طه حسين صاحب مدرسة فى النقد الحديث تخرج فيـــها جيل بأكمله وستتبعه أجيال من الدارسين والنقـــاد المتـــأثرين بطـــه حسين تأثرا قليلا أو كثيرا .

وطه حسين أديب عملاق ، من عمالقة الأدب العربـــى فـــى العصر الحديث ، وقد حمل لقب عميد الأدب العربى حتى مـــات ، وله شخصية علمية تحيل الأساتذة بين يديه إلى تلاميذ ، ثقافة واسعة ، وتمكن من ناصيته البيان ، وأسلوب سلس متنوع مع ذكاء شـــديد وحس مرهف ، وجرأة عقلية نادرة تعجب لها الناس ثم تتصاعد إلى حد الجنون ، والمسافة بين العبقرية والجنون قصيرة جدا ، ورحـــم الله سعد الدين التفتازانى المتوفى سن ٧٩١ إذ يقول :

طويت بإحراز الفنون ونيلـــها رداء شبابى والجنون فنـــون
فحين تعاطيت العلوم وحظـــها تبين لى أن الفنـــون جنـــون

كان طه حسين عبقريا ممن عباقرة الزمان بكل المقاييس التـــي تقاس بها درجة العبقرية التي تصاعدت عنده حتى أساءت إليه .

فتطاول على الأدب والدين ولكنه تراجع عن هذا كله !!

---

(١) تاريخ الأدب العربى ، د / طه حسين ٨٣/١ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منهجه فى النقد :

أهم ما يتميز به منهج طه حسين فى النقد والأدب هو الاتجاه العلمى الغربى وبصفة خاصة الفرنسى ، ويطبق هذا المنهج على الأدب العربى قديمه وحديثه بذكاء شديد وإصرار عنيد ، ويشك طه حسين فى كل شئ تقريبا ، ويبدو هذا من دراسته لأبى العلاء المعرى ، والشعر الجاهلى ، والغزل فى الحجاز ، وعند العباسيين ومقالاته العديدة فى مختلف الصحف العربية والأوروبية حول نقد المقال الأدبى والقصة والقصيدة لمدة نصف قرن تقريبا . وقد تعرض بالنقد لشوقى وحافظ والرافعى وعبد العزيز البشرى وتوفيق الحكيم والعقاد وهيكل وعلى محمود طه ، وناجى ، وميخائيل نعيمه ، ونجيب محفوظ ويوسف السباعى وغيرهم ، وكتب فى كثير من قضايا النقد والفن والأدب كقضية الجمال فى الأدب والشعر وهل هو نسبى ؟ ورأى أنه موضوعى ؟ وتحدث عن الأدب والحياة والأدب والمجتمع ، واللغة الفصحى فى الشعر ، والعامية والأدب ، والواقعية . وكل القضايا التي اشتغل بها الأدباء فى العالم العربى كله منذ مطلع القرن العشرين الميلادى .

وأثناء دراسته فى الأزهر عرف الأدب القديم ونهل من موارده الثرة وتمكن منه . وأعجب به إعجابا كبيرا ، وبرجاله من أمثال الجاحظ وابن المقفع وأبى الفرج الاصفهانى وأبى العلاء المعرى فقد قرأ لهم كثيرا وأضحى الآن واحدا منهم وعلما من أعلام الزمان فى الأدب العربى .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى باريس وقف على آفاق جديدة فأقبل على الدراسة فى نهم ، وبصفة خاصة من الذين أثروا فى النقد العربى المعاصر والفلسفة أيضا فدرس آثار كبار الأدباء والعلماء فى فرنسا من أمثال ديكارت وفولتير وجان جاك روسو ، وسانت بيف ، وتين ، وغيرهم من شعراء وكتاب فرنسا فى القرن التاسع عشر ، وقرأ أيضا لأدباء الإنجليز وشعرائهم وفلاسفتهم من أمثال داروين ، وكلوريدج وغيرهما .

وطبق طه حسين منهج ديكارت الفلسفى فى دراسته للشعر العربى بصورة جنونية لم يعرفها الناس من قبل بهذه الصورة التي دعا إليها عميد الأدب العربى إلا عند المستشرقين ، كقضية الانتحال التي نفى على أساسها كثيرا من الشعر الجاهلى ، وشك فى كثير منه ، فقال : والواقع أنى شككت وألححت فى الشك أو قل ألح على الشك أن ما تقرؤه من شعر الجاهلية إنما هو من انتحال الرواة ويمثل الإسلاميين أكثر من تمثيله للجاهليين كما أشرنا !!.

ثم كان طه حسين طائشا فى قضية من أخطر قضايا الانتحال عندما قال : للقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللتوراة أن تفعل ذلك وللإنجيل نفس الشئ ولكن ذلك لا يثبت حقيقة تاريخية [1] وإنما وضعت قصة إبراهيم وإسماعيل فى القرآن لإيجاد نوع من الصلة بين العرب واليهود هكذا يرتد طه حسين ردة واضحة ويكفر

---

(١) الشعر الجاهلى لطه حسين ١/٤٥ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كفرا صراحا بواحا ، ويقلد كفر المستشرقين وكفر أبى تمام وكفر أبى العلاء المعرى .

أما المستشرقون فهم يهود أو نصارى أو ملحدون ، أما أبو تمام والمعرى فقد أتيا الإلحاد فى ديوانيهما مما يعف القلم عن تسطيره والعياذ بالله .

ثم قيل : إنه رجع عن هذا كله وحذف ما يتعلق بقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى الطبعات التالية للكتاب ، وقد حوكم إسلاميا وسحبت منه الدرجة العلمية التي منحها من الأزهر وقيل انه قبل موته تاب ورجع عن هذا وحج واعتمر ، وعندما زار المسجد النبوى الشريف كانت دموعه تسيل على خديه ويرتعش ارتعاشة العصفور الذى بلله القطر من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه [1].

وإن صح هذا فقد كان عليه أن يعلن توبته تحريريا لا شفويا كما أخطأ تحريريا لا شفويا ، ويكاد عميد الأدب العربى يكون فرنسى التفكير فهو ينادى بحرية الأديب فى تناول موضوعه دون أية قيود دينية أو سياسية أو اجتماعية أو خلقية مما بينا فساده ! ويعلل ذلك بأن هذه الحرية تكفل له الانطلاق إلى ما يريد بجناحين قويين دون أن نثقلهما أثقال من أى نوع وعندئذ يكون مبتكرا مجددا نافعا للناس هكذا يقال .

وقد كان طه حسين فى هذا مقلدا (لتين) فى تاريخ الأدب الإنجليزى و(سانت بيف) الفرنسى فى دراسته لأدباء الغرب .

---

[1] الدين والحياة للشيخ محمد الغزالى ص ٤٧ .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان تين : يرى أن الأدب يأتى نتيجة لعوامل ثلاث (البيئة والجنس والثقافة المعاصرة) وكان سانت ليف (١٨٠٤- ١٨٦٩ م) يدرس الشاعر من حيث بيئته وعائلته ووصفه الاجتماعى والتاريخى وثقافته وأفكاره وآراؤه وفلسفته .

ولهذا يعتبر فى طلائع المدرسة الرومانتيكية التي تعتمد على التحليل النفسى والترجمة الشخصية . وقد كان بيف طبيبا قبل اشتغاله بالأدب فساعده ذلك على التحليل النفسى ، وكان كثيرا ما يعتمد على الذوق والإحساس وصدق التعبير عن الحياة والوحدة الفنية .

وقد نظر طه حسين فى دراسة الأدب العربى فرآها تعتمد على شرح مفردات النص وترجمة لحياة صاحبه فقال : إن هذه دراسة سطحية لأنها أغفلت عنصر البيئة ونفسية الشاعر وميوله واتجاهاته ومعتقده وإحساسه ، والربط بين شخصيته وشعره وتكوينه الثقافى ومزاجه وأسرته وما إلى ذلك من مختلف المؤثرات التي كونت شخصيته الأدبية .

ومن المهم أيضا دراسة العوامل الخارجية التي أثرت فى النص الأدبى باعتباره ظاهرة اجتماعية ، وأهم هذه العوامل : البيئة ، الجنس ، العصر . وقال : إنه استفاد هذا من سانت بيف الفرنسى ويرى أن الأدب يختلف عن العلم ويجب أن يكون وسطا بين العلم والفن . وعند دراسة النص الأدبى يراعى ما يأتى : القراءة الصحيحة للنص ، وتحقيقه وضبطه ، ثم تذوقه ، وعندئذ تظهر

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شخصية الناقد وإحساسه ويشير إلى أهمية الموازنة بين النسخ المشتملة على النص ثم اختيار أدق النسخ ثم تقرأ قراءة الباحث المفسر المحلل المستنبط ، مع الإشارة إلى الخصائص النحوية واللغوية والبيانية فى النص . وهذا هو الجانب العلمى ، ثم يأتى الجانب الفنى وهو يعتمد على الإحساس إلى حد بعيد ، وهذا الجانب هو جانب النقد ، ويليه الدراسة الأدبية ثم تاريخ الأدب . وطه حسين أعجوبة من أعاجيب الزمان إذا غض الطرف عن أقواله وقد سلك هذا المسلك عميد الأدب العربى فى كتبه (فى الأدب الجاهلى ، أبى العلاء المعرى ، وبعض شعراء العصر الأموى وأحاديث الأربعاء التي تتناول بعض شعراء بنى العباس ومع المتنبى) (١)

تحليله للأدب :

ركز طه حسين تحليله للأدب على أصول وأسس تتصل بالناقد والناقد والشاعر ، ومفهوم الأدب وغايته ، ومن أهم هذه الأسس حديثه عن بيئات الشعراء والعوامل التي أثرت فيهم .

بيئات الأدباء :

يشير إلى أهمية البيئة فى النص الأدبى فيقول : ألفنا أن ندرس الشعراء والأدباء فنبحث عن أشخاصهم والبيئة التي كانوا يعيشون فيها (٢) .

---

(١) فى الأدب الجاهلى طه حسين ص ٤٧ .

(٢) حديث الأربعاء ١٢٩/١ طه حسين .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول : إن الفرد جاء من أسرته ، ثم تلقته الحياة الاجتماعية فصاغته على مثالها ، فعنصر الفردية فيه ضئيل لا يكاد يحس ، إلا أن يمتاز هذا الفرد ، وامتياز نفسه يرده إلى الحياة الاجتماعية التي أنشأته .

يقول عن عمر بن أبى ربيعة وأبى نواس : فلست أعرف شاعرا إسلاميا استطاع أن يمثل عصره وبيئته كهذين الرجلين .

فالعراق فى صدر الدولة العباسية أيام الرشيد والأمين يصورها أو نواس ، والحجاز فى صدر الدولة الأموية يصور حياته عمر بن أبى ربيعة ، حياة سراة قريش والمرأة العربية المترفة فى القرن الأول الهجرى ، وبهذا يكون الأدب عند طه حسين صورة للحياة ، وقيل : إن طه حسين كان متأثرا بمناهج الاجتماعيين الفرنسيين وعلى رأسهم دوركايم .

وقال مندور : إنه متأثر بمن قبل دوركايم وهو تين الذى كتب خلاصة آرائه النقدية فى مقدمة كتابه الكبير عن تاريخ الآداب الإنجليزية ، وزعم فى كتابه هذا أن فى الاستطاعة تفسير آداب الشعوب كلها وآداب الأفراد فى ضوء البيئة والعنصر والجنس والعصر ، وعلى أساسها يختلف الأدب الإنجليزى عن الفرنسى وغيرهما من الآداب العالمية ، وحاول أن يفسر نفس الأدب فى عصر عن عصر ، وفى بيئة عن أخرى ، وقيل : إن أدباء فرنسا يقولون : الأدب مرآة للمجتمع ، بيد أن الأديب ينبغى عليه أن يكون مصلحا لا مكررا لأخطاء بيئته ويبدو أن طه حسين متأثر بدراسات

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علماء الاجتماع الفرنسيين لأن رسالته لدرجة الدكتوراه كانت عن ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية ، وقال إن التعرف على المجتمعات يكون عن طريق آدابها والاهتمام بالشعر يسبق الاهتمام بالنثر والشعر وسيلة لفهم الشعر .

وقد حاول أن يعرض صورة للذوق الأدبى فى مطلع القرن العشرين الميلادى فمزج بين الحالة السياسية والأدبية للمجتمع وأثر ذلك كله على الأدب ، وقال : إن الذوق الفنى متقارب بين مصر والشام وفلسطين وليس كذلك مع شمال إفريقيا ، وقال : إن الذوق فى مصر متفاوت . فللأزهريين ذوق خاص وهو يختلف عن أذواق مدرسة القضاء والجامعيين مثلا . فهناك الذوق المتأثر بالعلم ، أو بالأدب ، أو بالتاريخ أو بالفلسفة ، وعلى هذا النحو تختلف الأذواق ومن حسن التعبير عما فى صدور الناس ميل الأديب إلى الصدق .

واقعية طه حسين :

ناقش طه حسين جماعة الواقعية فى الأدب فقال : أين الضمير الأدبى عندما يرفع الأديب نفسه فوق عصره وأحداثه ويأبى إلا أن يجعل أدبه تجارة يساوم فيها كما يساوم التجار ، ولا يفكر فى عواقب آثاره الأدبية قبل أن يعرضها على القراء ، ويقول : أين الأديب الذى لا يقوم أدبه بالدراهم والدنانير ؟ قبل أن يكتبه ، وقبل أن يخرجه ؟ أين الأديب الذى لا يسعى إلى الشهرة وإنما تسعى الشهرة إليه ؟ والذى لا يطلب الرضا وإنما يطلبه الرضا . ويحمل طه حسين على أدب الكسب المادى والشهرة وذيوع الصيت .

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويدعو إلى ارتباط الأديب بمجتمعه وقضاياه فكلٍ أدب من آداب الأمم إنما يصور لونا من ألوان حياتها ومشاعرها .

النقد القديم :

ناقش طه حسين الذين عابوا الأدب القديم بأنه لم يعبر عمن الحياة فقال : لا يقال إن الأدب العربى القديم لم يصور الحياة ، بل يقال : إنه لا يصور حياتنا نحن ، والعيابون للأدب القديم يقولون إنه أدب الملوك وأدب الإقطاع ، ولذلك يجب الإعراض عنه ، وإنشاء أدب لحياتنا فى القرن العشرين ، إنهم بهذا يدعون إلى اجتثاث الإنسانية من جذورها ، وإقامة إنسانية جديدة بناء على حيلة الشعوب الآن .

ويقول : إن الأدب غاية فى نفسه فأما أن يسخر الأديب ليكون وسيلة من وسائل الإصلاح أو سبيلا من سبل التغيير فى حياة الشعوب ، فهذا تفكير لا ينبغى أن نساق إليه أو نتوسط فيه . ويشير إلى أهمية الالتزام فى الأدب بصدق التعبير والتجاوب مع المجتمع ، وصدق التعبير الملائم لمقتضيات العصر الفكرية والأدبية والاجتماعية والسياسية .

الصدق الأدبى :

قال إن صدق التعبير عن النفس والعاطفة يرفع من شأن الأدب والأديب فينبغى أن يصور الأديب أحاسيس مجتمعه آمالهم وآلامهم باعتباره واحدا من هذا المجتمع ، والشعر الجيد مرآة لما فى نفس الشاعر . فإن خلت النفس من العاطفة الشعرية فلا شعر . وإنما

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هناك نظم لا غناء فيه ، ولا يميل طه حسين إلى ترك النص وتحليل شخصية صاحبه من حيث ما فيها من اضطراب الغرائز والعقد النفسية ونحوها ، ومن الصدق الأدبى قول البارودى :

خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة

على يدا أغضى لها حين يغضب

وقوله :

ولو أن أسباب السيادة بالغنى

لكاثر رب الفضل بالمال تاجر

طه حسين والتحليل النفسى :

كان العقاد يرى أهمية التحليل النفسى فى نقد الشعر فإذا طه حسين يشكك فى علم النفس التحليلى من أساسه وينكر على العقاد إخضاع الأدب لهذا النوع من التحليل لأنه ضرب من الظن لا يصل إلى اليقين أبدا ومن ثم فلا يعد علما ولا فنا ، ولا يلزم قراءة الاطمئنان إليه ولا الاقتناع به ، يقول : ومازلت أرى هذا الرأى لم يصرفنى عته الأستاذ العقاد بما كتب فى مقاله الأخير ، وما أرى أنه سيصرفنى عنه الآن على اقل تقدير .

والجزء الأخير من عبارة عميد الأدب العربى يوحى باحتمال أن يصرف العميد عن هذا الرأى فى المستقبل ويؤمن بأهمية التحليل النفسى فى نقد الشعر ، بل وكافة الفنون كما ذكر الأديب الشاعر الكاتب عباس محمود العقاد ، واعترض الدكتور طه حسين على

Scanned by TapScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدكتور محمد النويجى فى متابعة العقاد فى قوله بأهميـــة التحليـل النفسى فى نقد الشعر وكل الفنون .

والأستاذ محمد النويجى حاول أن يطبق نظريات فرويد على أبـى نواس ، فزعم أنه ضاق بأمه لأنها لم تفرغ له ، ولـم تعطـه مـن حنانها شيئا ذا بال لأنها شغلت بالبحث عن رزقها بعد وفاة والده بل وأثناء مرضه ، بل وقد كسبت قوتها وقوت ابنها من وجه تقـى أو وجه آثم أشد الإثم [1] . والنقد مع الأسف قد يهتك الأستار ، وكـان لهذا الحرمان من عطف الوالدة أخطر الآثار فى حياته فكره النسـاء جميعا لأنه كره أمه فأصابت نفسه هذه العقدة التي يسـميها فرويـد وأنصاره عقدة أوديب ، فانصرف إلى المواخير والخمور .

ويرى الدكتور طه حسين أن هذه كلها آراء مفترضة ولا دليل عليها لأنها لا تقوم على أساس متين من تاريخ أبى نـواس أو مـن شعره ، وإنما على أساس فرض افترضه ناقد معاصر وأسرف على أبى نواس وعلى قرائه آخر الأمر .

ثم يشكك طه حسين فى نظريات فرويد فى التحليل النفسى كمـا فعل فى نقده للعقاد .

يقول طه حسين : والعلماء لم يتفقوا بعد على نظريات فرويد فى التحليل النفسى الذى أصبح شائعا فى أوروبا وهام به الأمريكيـون هياما شديدا فكيف وأنا لست مطمئنا إلى أن أصحاب فرويد يرضون عما قال أستاذهم نطبق ذلك على واقع حياة شاعر قديم لا نكاد نعلـم

---

(١) النقد الأدبى الحديث ، د / محمد زغلول سلام ص ٣٦٥ .

Scanned by TapScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدكتور محمد النويجى فى متابعة العقاد فى قوله بأهميـــة التحليـل النفسى فى نقد الشعر وكل الفنون .

والأستاذ محمد النويجى حاول أن يطبق نظريات فرويد على أبـى نواس ، فزعم أنه ضاق بأمه لأنها لم تفرغ له ، ولـم تعطـه مـن حنانها شيئا ذا بال لأنها شغلت بالبحث عن رزقها بعد وفاة والده بل وأثناء مرضه ، بل وقد كسبت قوتها وقوت ابنها من وجه تقـى أو وجه آثم أشد الإثم [1] . والنقد مع الأسف قد يهتك الأستار ، وكـان لهذا الحرمان من عطف الوالدة أخطر الآثار فى حياته فكره النسـاء جميعا لأنه كره أمه فأصابت نفسه هذه العقدة التي يسـميها فرويـد وأنصاره عقدة أوديب ، فانصرف إلى المواخير والخمور .

ويرى الدكتور طه حسين أن هذه كلها آراء مفترضة ولا دليل عليها لأنها لا تقوم على أساس متين من تاريخ أبى نـواس أو مـن شعره ، وإنما على أساس فرض افترضه ناقد معاصر وأسرف على أبى نواس وعلى قرائه آخر الأمر .

ثم يشكك طه حسين فى نظريات فرويد فى التحليل النفسى كمـا فعل فى نقده للعقاد .

يقول طه حسين : والعلماء لم ينفقوا بعد على نظريات فرويد فى التحليل النفسى الذى أصبح شائعا فى أوروبا وهام به الأمريكيـون هياما شديدا فكيف وأنا لست مطمئنا إلى أن أصحاب فرويد يرضون عما قال أستاذهم نطبق ذلك على واقع حياة شاعر قديم لا نكاد نعلـم

---

(١) النقد الأدبى الحديث ، د / محمد زغلول سلام ص ٣٦٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من حياته الواقعية شيئا ذا خطر . وكيف يقال إن أبا نواس فتن بأمه ثم عزف عنها ثم ابغضها إلى كثير من المفاسد والشرور والآثام ثم مال إلى العبادة النصرانية ثم كان بعد هذا مسلما صادق الإيمان . والمفيد فى دراسة أبى نواس أنه شاعر متميز من شعراء الحب والخمر والمجون والزندقة ، ثم التوبة عن هذا كله بدليل قوله :

ولد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللحظ حيث أسامو
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثام

كما يشن طه حسين هجوما على العقاد فيقول : فليعمد العقاد إلى من حوله من المعاصرين فيحلل نفوسهم كما يحب ويهوى . فأما أبو نواس فنحن بحاجة إلى الاستمتاع بما فى شعره من روعة وجمال أكثر من حاجتنا إلى تحليل نفسية من غير علم ، على أن نعتمد على الذوق والنص قبل نفس الأديب .

ويبدو أن عميد الأدب العربى كان خائفا من هجمة العقاد عليه على غرار هجمته السابقة على أبى نواس .

طه حسين والتحليل الفنى :

تتفق الإنسانية كلها على حب الجمال الذى يحل فى كل جيل بمقدار ، ويتشكل فى كل عصر بالصورة التي تناسب ذلك العصر وهو من هذه الجهة مصدر وحدة أو فرقة لبنى الإنسان . هو واحد لأنه يجمع الناس مهما اختلفوا على الإعجاب والشعور بالمتعة القوية إذا كانت بمنأى عن الأذى والعدوان ، وهو مصدر فرقة لأن له من

الأشكال للبيئات المختلفة ما ينوعه . فالعربى والفرنسى والإنجليزى يشعرون جميعا بالمتعة حين قراءة الآداب الراقية ، ولكنهم يختلفون فى تذوقهم لها . فهذا يرضى وهذا لا يستريح وهكذا . . . . ففى الجمال الفنى وحدة وكثرة ، فالوحدة جوهره والكثرة أغراضه .

وإذن فالمثل الأعلى فى الفن مرده إلى الذوق الفنى ولكن الأدباء فى جميع العصور مختلفون حول الجمال الفنى فى الأدب أين يكون ، ومن أين يأتى ، ولكنهم متفقون على أن الأدب الجيد لا يكون إلا جميلا .

فأنت لا تعرف، من أين يأتى جمال الصورة التي تروقك ؟ أيأتى من اللون أم من شئ آخر ، وما هو ذلك الشئ ؟ قد يستريح الإنسان إلى صورة حميلة ولكنه لا يعرف تحديد هذا الجمال ولا يعرف بدقة من أين يأتى ؟ فخذ الأدب على أنه متعة لروحك . وليكن جماله فى الألفاظ أو فى المعانى ، أو فى النظم ، أو فى الأسلوب ، أو فى هذا كله ، ثم يقول : فليكن جماله شيئا شائعا فى هذا كله ، ولا يستطيع أحد أن يحصره فى اللفظ أو فى المعنى أو فى النظم أو فى الأسلوب . ولا يكون الكلام أدبا إلا بهذا الجمال وليكن موضعه بعد ذلك ما يكون ، فى البر أو فى البحر أو فى الجو ليكن موضوعه جميلا أو قبيحا محببا أو بغيضا . فليس يعنينى من الأدب إلا الشعور الرفيع بالبلاغة والجمال [١] .

---

[١] حديث الأربعاء ، طه حسين ص ١٩٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأشكال للبيئات المختلفة ما ينوعه . فالعربى والفرنسى والإنجليزى يشعرون جميعا بالمتعة حين قراءة الآداب الراقية ، ولكنهم يختلفون فى تذوقهم لها . فهذا يرضى وهذا لا يستريح وهكذا . . . . ففى الجمال الفنى وحدة وكثرة ، فالوحدة جوهره والكثرة أغراضه .

وإذن فالمثل الأعلى فى الفن مرده إلى الذوق الفنى ولكن الأدباء فى جميع العصور مختلفون حول الجمال الفنى فى الأدب أين يكون ، ومن أين يأتى ، ولكنهم متفقون على أن الأدب الجيد لا يكون إلا جميلا .

فأنت لا تعرف من أين يأتى جمال الصورة التي تروقك ؟ أيأتى من اللون أم من شئ آخر ، وما هو ذلك الشئ ؟ قد يستريح الإنسان إلى صورة حميلة ولكنه لا يعرف تحديد هذا الجمال ولا يعرف بدقة من أين يأتى ؟ فخذ الأدب على أنه متعة لروحك . وليكن جماله فى الألفاظ أو فى المعانى ، أو فى النظم ، أو فى الأسلوب ، أو فى هذا كله ، ثم يقول : فليكن جماله شيئا شائعا فى هذا كله ، ولا يستطيع أحد أن يحصره فى اللفظ أو فى المعنى أو فى النظم أو فى الأسلوب . ولا يكون الكلام أدبا إلا بهذا الجمال وليكن موضعه بعد ذلك ما يكون ، فى البر أو فى البحر أو فى الجو ليكن موضوعه جميلا أو قبيحا محببا أو بغيضا . فليس يعنينى من الأدب إلا الشعور الرفيع بالبلاغة والجمال (١) .

---

(١) حديث الأربعاء ، طه حسين ص ١٩٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واضح من هذا أن طه حسين لا يربط بين صورة الأدب ومضمونه فهو يعتمد البلاغة فى الأدب مهما كان موضوعه ملائما للحقيقة الخلقية أو منافيا ، عاليا أو هابطا ، ولذلك فهو يهتم بالأسلوب وحده ، وقد عد أكثر الأدباء من بلاغة التعبير صحة المعنى واستقامته وطرافته بعد جودة اللفظ ونقائه وارتفاعه عن الركاكة والإسفاف .

الأسلوب :

الأسلوب : هو صورة الأديب ، فينبغى أن تكون مشرقة جميلة غير متكلفة صادقة غير كاذبة خداعة ، وقد أصر طه حسين على تأكيد هذه المعانى فى نقده بأقوال الأدباء ، ولذلك حمل على قول شوقى فى كمال أتاتورك :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب

يا خالد الترك جدد خالد العرب

فيقول : إنه ضحك حين سمع هذا المطلع ولا وجه إطلاقا لقياس أتاتورك بخالد بن الوليد ، يقول طه حسين : وازددنا فى الضحك والأذى معا حين سمعنا بقية أبيات القصيدة لأن شوقى لم يلائم بين أسلوبه وعصره ، ولم يصدق فى الانفعال بتجاربه الشعرية ، وقال طه حسين عن كتاب الرافعى رسائل الأحزان ، إنه أجهد نفسه إلى حد بعيد ، وكأنه يلد العبارات ولادة كما تلد الأم وليدها ، وهو يقاسى ما تقاسيه الأم فى الوضع . ولو ظفر من هذه الآلام بما تظفر به الأمهات بعد آلام الوضع لقلنا آلام قيمة لها نتائج حسنة ولكنه لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من جهة أخرى لأنه يدل على أن الكاتب ينكر شخصيته ، وأى إنكار للشخصية من أن تحس بإحساس ثم تستعير له أساليب لا تلائمه وضروبا لا تؤديه .

بين العملاقين طه حسين والعقاد :

لم يرض طه حسين عن أسلوب العقاد ورماه بالتكلف والتعقيد ، وقال : إنه يتكلف لأسلوبه غموضا فكريا ويقول : كنت أحب العقاد فى فصل مضى بشدة الغموض أحيانا ولكنى أعترف بأن غموض العقاد ليس شيئا بالنسبة إلى غموض الرافعى .

فأنا لم أفهم مقدمة العقاد ولكنى فهمت الكتاب كله ، أما كتاب الرافعى فقد قرأت مقدمته فلم أفهمها فقلت سأفهم الكتاب ككتاب العقاد فقرأت ويا ليتنى ما قرأت لأننى تأملت الكتاب فلم أجد شيئا ، وكان يقصد بكتاب العقاد مطالعات فى الأدب والحياة ، ومن الغموض ما يصدر عن جهل وغفلة كغموض قوم لا أريد أن أسميهم الآن لأنى لا أريد أن أضيف خصوما إلى خصوم ، وحسبى العقاد وأنصار العقاد . ومن الغموض ما يصدر عن إسراف فى العلم والفلسفة وقصور فى اللغة والبيان ومثلت لذلك بالعقاد أقولها وأمرى إلى الله ، ومن الغموض ما يصدر على طول اللسان وقصر العقل ومثلت لذلك بأديب ثرثار فى غير طائر ولكنه لا يخلو من أصل قيم ولكنى لا أسميه !!.

معانى العقاد تعجب طه حسين ولكن أسلوبه يضايقه ، يقول : به فى التفرقة بين حاجات القدماء والمحدثين ،

وأعجبت بفهمه الدقيق للهزل الأدبى والأدب الذى هو هزل كله ، أعجبت بهذا كله إعجابا لا حد له ، لولا أن لغة الكاتب لا ترضينى من كل جهة وهى لا تخلو من غموض مصدره أن عقل الأستاذ أطول من لسانه [1] والموقف يتطلب الأسلوب الذى يرضى أذواق المعاصرين لا أذواق الجاهليين أو من ذهبوا مذاهبهم ممن أغلقوا على أنفسهم الأبواب وظلوا يحيون حياتهم منغلقين حياة العصر وذوق العصر .

ونراه يوجه الاتهام إلى قوم أغفلوا اللغة فأخطأوا فيها مثل هيكل إلى حد ما ، وسلامة موسى بكثرة ، يقول : وليس لأحد أن يسرف فى حريته اللغوية إلى حد هدم قواعد اللغة ويتجاوز قوانينها فى غير نفع ولا نكتة فنية ولا ضرورة قاهرة .

وأنا لا افهم تذكير اللفظ المؤنث ولا تأنيث المذكر . وأى فائدة حين يضم فعلا يجب أن يكسر ومع هذا فأنا أجد هذا النحو من الخطأ اللغوى فى كتاب صديقى هيكل . ولست أريد أن أسرف ولا أن أطيل فى إحصاء هذا الخطأ .

يقول طه حسين : كيف استطاع هيكل أن يقول : وكان قدمه قد استقر فى الأدب وهو يعلم أن القدم مؤنثة لا مذكرة ، وكيف استطاع أن يقول : " ولا أن نكون من السخف حتى يضحى رأينا هنا بسبب مثل هذا الرأى الأخرق " ومتى كانت حتى ظرفا مكانيا ؟ وإنما أراد هيكل أن يقول وألا تكون من السخف بحيث نضحى .

---

(١) حديث الأربعاء ، طه حسين ٣/١٠١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طه حسين وشعراء العصر :

وجه طه حسين إلى شاعر النيل حافظ إبراهيم جانبا من نقده في الشعر الحديث فأخذ عليه التكلف كقوله في أرسطو طاليس :

بكتاب رسطاليس تا ج نوادر الفلك المدار

يقول : ألم يثقل عليك ؟ أتجب هذه الأوصاف ؟ وما معنى نوادر الفك المدار ؟ وما معنى تاج هذه النوادر ؟ وما معنى أن يكون كتاب أرسطو طاليس تاجا لهذه النوادر ؟ أعترف أنني لا افهم شيئا إلا أنك تريد لفظ المدار من أجل القافية ، وتحدث في القصيدة بما كنت تستطيع الاستغناء عنه وكيف استعبدتك القافية في قولك :

تزن الكلام كأنه ماس بميزان البحار

وأخذ على ناجي ضعفه اللغوي ، فقال ومثل هذا الخطأ كثير في الديوان يقول : إن بعض المحدثين يعذبون اللغة ويمسخونها ، ويجهلون أو يتجاهلون أن أعظم المعاني يفسدها اقبح الفساد إذا لم تؤدها بلفظ مستقيم جميل .

وقال عن على محمود طه : إنه مغن شخصيته أقوى من بيئته ، وليس قصاصا روحه أطول من شخصيته إلا أنه يحرص على الموسيقى في الوزن أكثر من حرصه عليها في القافية وأظنه يسيء في القافية كثيرا وليس يعنيني أن يجد له عذرا عند أصحاب القوافي أو لا يجد ، ولكن الذي يعنيني أن القوافي يجب أن تلائم السمع ، وما أظن أن هاتين القافيتين تأتلفان لمكان الواو الساكنة من إحداهما والباء الساكنة من الأخرى ، يقول :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رد فى روحى بـــث الحيـــاة نزلت دنيـــاى علـــى نورهـــا
فإن جناها ذات يـــوم ســـناه لاذت بليل الموت فى قبرهـــا

طه حسين والخيال :

الخيال عنصر من عناصر الصورة الأدبية ، وقد نـــاقش طـــه حسين هذا العنصر عند اعتراض العقاد على خيـــال أبـــى العـــلاء المعرى فيقول : وما الخيال ؟ إن كان ملكة تمكن الشاعر والكـــاتب من أن يخترع شيئا من لا شئ ، أو يؤلف شيئا من أشياء لا ائتلاف بينها . فلم يكن لمعرى على حظ من الخيال لأنه لم يخـــترع فـــى رسالة الغفران شيئا من لا شئ ، ولم يؤلف بين متناقضات .

ويقول (طه حسين) : ولكنا نعلم أن علماء النفس لا يســـمون هذه الملكة خيالا ، وإنما يسمونها وهما وهم ينبئوننا أن الخيـــال لا يخترع شيئا من لا شئ ، وإنما يستمد صوره ونتائجه من الأشـــياء الموجودة فيؤلف بينها تأليفا غريبا يبهر النفس ، وإذا كانوا صـــادقين ونحسبهم صادقين فحظ أبى العلاء من الخيال فى رســـالة الغفـــران لا حد له .

ويعترض على مغالاة على محمود طه فى خيالاته الشـــعرية ، فيقول : وأحب بعد هذا كله أن أخاصم الشاعر فى بعض مذهبه فـــى الشعر ، فهو يغلو فى الخيال حتى يجاوز المألوف أحيانا ، ويتورط تورطا فاحشا فيما عاب به النقاد أبا تمام فهو يجسم ما لا سبيل إلـــى تجسيمه وليس بذلك من بأس إذا لم يسرف فيـــه الشـــعراء . أمـــا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شاعرنا فيغلو فيه غلوا فاحشا ، وما رأيك فيمن جسم الليل حتى جعله أوصالا وعروقا ، وأجرى فى عروقه دما ، وليست شعرى كيف يكون دم الليل ، أجامد أم سائل ؟ أناصع أم قاتم ؟ أخفيف هو أم ثقيل ؟ وهكذا يبدو طه حسين مهتما بالألفاظ والمعانى والخيال المشرق الجميل .

وإن اختلال عنصر من عناصر الصورة الأدبية يشوهها مهما كان المعنى الذى يتحدث فيه الشاعر ، ويميل طه حسين إلى القائلين بأن الفن للفن دون اعتبار لموضوع الفن ساميا أو منحطا خليقا أو همجيا يتمشى مع العرف أو لا يتمشى ، يخدم المجتمع أو لا يخدم. ولا تسلم هذه النظرة من شطط .

الشك والمضمون :

خاض عميد الأدب العربى طه حسين معارك أدبية عنيفة منذ ١٩٥٤ م مع من سموا بالواقعيين الاشتراكيين إبان سطوة النظم الشيوعية العالمية فيقول : والجمال الأدبى لا يأتى عفوا إلا فى القليل النادر . وبعض الشباب تخطر لهم القضية فيسرع فى تسجيلها تم يسرع فى إخراجها للناس ، لا يحقق معناها ولا يتأنى حتى يتم نضجه ، ولا يتأنق فى الصورة ولا يجد فى تسويتها حتى تخرج نقية رضية تستهوى النفوس ويحسن وقعها فى القلوب .

ويرى عميد الأدب العربى أن اختلاف الناس بين جمال الصورة وجمال المعنى كثير فبعضهم أعجب بمسلم بن الوليد لصنعته ألوانا من الجمال البيانى من التجنيس والمطابقات ونحوها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الاستعارات والكنايات ، وبعضهم أعجب بـــأبي تمـــام لتعمقـــه فى المعانى .

ويقول : وليس المحدثون الأوروبيون بأقل اختلافا فى ذلك مـــن القدماء ، فمنهم من يؤثر جمال اللفظ أو المعنى على أن يكون قريبـــا دانى القطوف لا عقبة فى فهمه وذوقه ، ومنهم من ينأون عن هـــذا كله ويلتمسون الجمال الأدبى فى حياة يبتكرونها هـــم ويخترعونـــها بعيدا عن الحياة التي ألفها الناس مصبحين وممسين . ولا يقول طـــه حسين بالفصل بين الأدب ومادته على اعتبار أن عناصر الأدب هى الصورة والمادة والجمال ، ولا يرى فصلا بين الألفاظ والمعانى كما قال بعص القدماء من علماء البلاغة ، ولا يقيم وزنا لقول الواقعيـــن المحدثين : إ الصورة تنفصل عن المضمون إذا لم ينزل الأدب إلـــى مستوى الجماهير من القطعان البشرية .

والواضح أن العميد يبدو أحيانا متضاربـــا فـــى قضيـــة اللفـــظ والمعنى أو الشكل والمضمون ، ذلك لأن المضمون قد يكون جميـــلا كوصف الزهور والرياحين ووصف البحار والأنهار ونحوهـــا ، وقد يكون قبيحا كوصف المجون والانحلال ممـــا تناولـــه أبـــو نـــواس وجماعة المـــتزندقين مـــن أمثالـــه ، وهـــذه أشـــياء لا يرضاهـــا المسلمون أبدا .

يقول العميد : ولكن قد يرضاها الأدب فيخرج منـــها صـــورا جمية وتلذ وتمتع وإن كانت تنافى الدين والخلق جميعا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحق أن الأدب يجب أن يكون نافعا للناس ، والحقارة والإسفاف لا نفع فيهما فيجب أن يبتعد الأدب عن كل هبوط والا لهبط بذوق الناس وخرب نفوسهم صغارا وكبارا .

وقد أشار الجاحظ والقاضى الجرجانى لقضية الشكل والمضمون ، فقال الجاحظ : إن المعانى مطروحة فى الطريق ولعله لا يقصد المعانى البلاغية وإنما يقصد المعانى الساذجة وهى مما يقع تحت السمع والبصر فى الحياة .

ودعوة الواقعيين إلى الوحدة بين الصورة والمضمون جيدة ولكنهم خلطوها بالكسل ، وأخذ الموضوعات من حياة الجماهير الفوضوية ، وعرضها بلغة تشبه العامية وكانوا متشائمين إلى حد ما وهم يصطنعون أدبهم اصطناعا ويريدون فرض الهبوط على الناس ويرون هذا صدقا فى الفن فإن دعوا إلى السمو الإنسانى فتحوا عقيرتهم ، كونوا واقعيين وكأنهم يقولون : كونوا بهيميين ، وهذا ليس من الصدق فى شئ .

علاقة الأدب بالحياة :

يرى عميد الأدب العربى أن صلة الأدب بالناس صلة تأثير وتأثر وليس صلة إلزام والتزام ، وهو لا يرى شيئا يلزم الأديب ، وأن الأديب يكون أغزر إنتاجا إذا ما توفرت له الحرية والذاتية معا ولم يخضع لأى لون من ألوان السيطرة ، ولم يرتبط بأى رباط ملزم ، ولا ينبغى أن يسخر الأدب فى سبيل المأكل والمشرب والمتعة فقط ونحوها من الحياة الجسدية الصرفة ، والبعد عن العقل

والقلب والروح والقول بأنها أساطير هام بها القدماء ، إن الأدباء لو اتجهوا هذه الوجهة فلن تؤدى بهم إلا إلى أفدح الأخطار ويجب أن يكون الأدب بناء للنفوس وليس هداما وحتى من يقولون : إن الأدب يجب أن يكون فى سبيل الحياة البهيمية الهابطة وقد يقولون : إن قوما من الأدباء يقولون : إن الفن للفن أى لا للحياة ، وهؤلاء يقال لهم : إن القول بأن الفن للفن لا يستلزم الترفع عن الناس والزعم بالملائكية لهؤلاء ولا يلتزمون بالخرافة التي يسمونها البرج العلجى ، ولكنهم يدعون إلى أن يكون للإنسان وقت للراحة والإمتاع بالفنون الرفيعة من الآداب وغيرها .

ويريدون أن يرتفع الناس عن المنافع القريبة إلى ما هو أبقى وأنقى وأرقى وأتقى فيغدو أكثر نشاطا وأغزر إنتاجا .

ويقول الدكتور طه حسين : إن الأديب بعد هذا حر فى أن يكتب ما يشاء وكيف يشاء. والقراء أحرار يقرؤون إن شاءوا ويعرضون إن أحبوا ويسخطون إن أرادوا ويرضون إن أثار فيهم الأدب شيئا من الرضا ، وليس بينهم وبين الأدب إلا هذا ، فليس لهم أن يطلبوا من الأديب أن يكتب لهم من الأدب ما يشاءون وليس للأديب عليهم أن يرضوا عما كتب وهذه عناصر أصيلة فى منهج طه حسين .

وكأن عميد الأدب العربى بمثل هذه الأقاويل يريد تأصيل انفصال الأدب عن الدين والأخلاق ، وهذه دعوى إلى الفوضى والسطحية والضياع فى نهاية المطاف وهلاك البشر فى سعير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشهوات والملذات البهيمية حتى يسهل القضاء عليهم وافتراسهم عن طريق القوى الشيطانية المتربصة بهم تربصا دائما لا يكل ولا يمل ولا يعرف الرحمة والإنسانية بالضعفاء والمهزومين .

ويجيئ بعد هذا عميد الأدب العربى فيقول فى نقده لكتاب مطالعات فى الأدب والحياة للعقاد : ومع ذلك فقد أخذت على نفسى بأن أكون حرا فى النقد ، وأمليت على نفسى موثقا من الله لأكونن حرا مطلق الحرية ولأنسين فى هذا النقد صلات المودة والقربى وعواطف الرضا والسخط فقد يكون لى أن أتجاوز الخصومات السياسية وأن أجعل خلاف الأحزاب السياسية دبر أذنى وتحت قدمى لأتحول كلمة حق فى الأدب ليس بينها وبين السياسة والأحزاب صلة .

والواقع أن النقد مفيد لكل حركة علمية أو أدبية أو فنية ، ولكن مما يجب التنبه إليه أن الأديب ليس من حقه أن يدعو الناس إلى الحرية البهيمية ! هذه ليست من حق الأديب ولا الناقد ولا القارئ ولا السامع ، فللناس حدود يجب الوقوف عندها فأنت حر مالم تضر ، وإلا وجب منعك والأخذ على يديك ومنعك من الهدم والتدمير لتبقى الحياة البشرية فى مأمن وأمان حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

طه حسين والقصة الأدبية :

وجه عميد الأدب العربى المعاصر الدكتور طه حسين شيئا من عنايته الأدبية والنقدية إلى القصة فتناول مجموعة من قصص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتاب القصاصين المعاصرين كالدكتور محمد حسين هيكل ، ويوسف السباعى ، يوسف غراب ، ونجيب محفوظ الذى حصل أخيرا على جائزة نوبل وهو الأديب العربى الوحيد الذى حصل على هذه الجائزة العالمية ، وكان عميد الأدب العربى إذا نقد قصة لخصها ، مركزا على أهم عناصرها وما فيها من عيوب أو محاسن وأبدى وجهة نظر قوية متحدية لا يعنيها موافقة الآخرين أو مخالفتهم .

ويهتم طه حسين فى نقد القصة الأدبية بكل عناصرها فيشير إلى صحة أسلوبها أو ضعفه وإلى سلامة اللغة ، ويرى ذلك أمرا أساسيا ، ثم يتحدث عن الجانب الاجتماعى فى القصة وعلاقتها بالحياة والمجتمع وما فيها من صور فنية ، ومدى التلاؤم بين الواقع والقصة والجانب الجمالى وشخصية الكاتب فى القصة وصدقه فى تشخيصه عن طريق البيئة ، ثم يتأمل شخصيات أبطال القصة واحدا بعد آخر .

مع الدكتور هيكل :

نقد طه حسين قصة محمد حسين هيكل (هكذا خلقت) فأخذ على القصة اشتمالها على تفصيلات عديمة القيمة ، كذهاب بطلة القصة إلى النوم دون ذكر سبب معروف غير طلب الراحة ، ونحوها وأنها تقلد فى ذلك أمريكية عرفتها فى أحد الفنادق الأوروبية . يقول طه حسين : وهذا الإسراف فى التفصيل ليس قليلا ، وهو أيضا ليس مفيدا ، ولكنه منثور فى القصة كلها ، ولو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجمل الكاتب فى موضع الإجمال وفصل فى موضع التفصيل لكان ذلك اختصارا للقصة وهذا أفضل .

ويقول العميد : وملاحظة أخرى لست أدرى أمخطئ أنا فيها أم مصيب ، يقول : ورجال القانون - وصديقنا هيكل منهم - يستطيعون أن يدلونا على موضع الصواب فى القصة من هذه الملاحظة فقد رأيت أن بطلة القصة أرادت أن تقطع كل صلة بينها وبين زوجها الأول وألجأها ذلك إلى تغيير نسب ابنيها (ونعوذ بالله من جريمة شنعاء كهذه) وألجأها ذلك إلى إجبار زوجها الثانى على تبنيهما بعد وفاة أبيهما ، وأنهما عادا إلى نسبهما إلى والدهما (زوجها الأول) بعد بلوغهما سن الرشد .

يقول طه حسين : والذى أعرفه أن الإسلام قد محا هذا النوع من التبنى الذى كان معروفا فى الجاهلية ، قال تعالى : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما** ﴾ [1] يقول والله تعالى ألغى بهاتين الآيتين تبنى نبيه الكريم لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

---

[1] سورة الأحزاب الآيتان ٤ ، ٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول طه حسين : وأنا أعلم أن هذه السيدة مسلمة ولكنى لا أدرى أخالفت مصر فى قوانينها المدنية المعاصرة عن هذا الأصل من أصول الإسلام أم لم تخالف ؟ فإن تكن الأولى فقد أصابت من الناحية المدنية الخالصة ، ولكنها تجاوزت حدود الدين ، وإن تكن الثانية فقد أباحت لنفسها وأباح زوجها الثانى وأباح القضاء المصرى أيضا هذه المخالفة الصريحة لحكم الدين والقانون معا ، وأكاد أجزم أن صديقنا صاحب القصة د / هيكل لم يقف عند هذا الموضوع وإنما اندفع فى تصوير جنون الغرور والغيرة حتى أنساه ذلك ملاحظة الحقائق فى أحكام الدين وأحكام القوانين إن لم تكن مصر قد خالفت فى القانون عن أمر الدين .

ويمضى العميد قائلا : وهذه السيدة قد حجت واعتمرت ، وزارت الحرمين الشريفين وكادت تنقلب إلى ولية من أولياء الله الصالحين ، ثم ارتدت بعد ذلك إلى حياتها المألوفة فى غير تكلف ولا مشقة .

يقول العميد : بل ردت فى خاتمة قصتها إلى شئ من الشك المريب فى حقائق الدين نفسه ، أيرى صديقنا هيكل أن هذا يستقيم لأمرأة لها حظ من عقل ؟ أم هو يريد أن يصور هذه السيدة من شئ يشبه الجنون فيما تأتى وفيما تدع بلا أخلاق بلا دين بلا إنسانية بل إجرام وبهيمية تستجير بالله منها العجماوات . ونعوذ بالله من عمى البصيرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع يوسف السباعى :

ويعرض لنقد قصة (إنى راحلة) ليوسف السباعى فيقول : هناك أشياء ننكرها كتمزيق الخيط أو الشعر ، وتذكير المؤنث ، وتثنية ما حقه أن يكون جمعا وهناك مآخذ متعلقة بالذوق وهناك أشياء لا يسيغها الذوق وما أكثر ما ينورط فيه الشباب مر ذاتنا فيما لا يسيغه الذوق ، كالإفراط فى الحديث عن العشق والغرام وكذلك أكل الكشرى والعدس والدقة ، واسخف ما يمكن أن يتحدث عنه أصحاب الشره والنهم فى موطن من مواطن الجوع والازدراء والاتهام .

فالحديث عن روجة بائسة يائسة فقدت آمالها وارتشفت انحواف زوجها وكرهت حياة المترفين وحياة الناس وكادت تنتحر وانتهت آخر الأمر إلى مزرعتها تذكر حبها الضائع وأملها الخائب ، وإنها لفى ذلك إذا بعاشقها القديم يقبل عليها كأنما كان على ميعاد وهو لا يقبل عليها بائسا يائسا مثلها ، وإنما يقبل عليها حرا طليقا فقد ماتت زوجته لأن القصة أرادت أن تموت ، وهناك عيب فى القصة يوشك أن يفسدها لولا أنه وقع فى آخرها فالفتاة هى التي تكتب القصة وهى التي تنبئنا من البداية أنها ستموت بحيث ننتظر موتها كلما دنونا من آخر الكتاب فإذا بلغنا موتها رأينا منكرا غريبا نابيا لا يصوغه الفن المتقن .

ويتناول قصة أخرى للكاتب نفسه (رد قلبى) :

فيراها طويلة تختلف بين التشويق والإمـــلال وبيـــن الـــهدوء والعنف ، ويأخذ عليها مآخذ كما أخذه على القصة السابقة وينبه إلى تصويرها للبيئة المصرية فى مختلف قطاعاتها ، يقول : فأنت واجد حين تقرؤها ألوانا مختلفة من الحياة فى ربع القرن الماضى ، تجـد فيها السياسة والإسراف فى البؤس والإسراف فى الثراء والإسـراف فى التفاوت بين ابناء الوطن الواحد وأبناء المدينة الواحدة بل بيـــن أبناء الحى الواحد أو الجزء الضئيل من هذا الحى ، فـــهذا قصـــر ضخم فخم أسرفت الأيام على أهله بما أتاحت لهم من ثراء ، وهـذا بيت صغير حقير أسرفت الأيام على أهله بما صبت عليهم من فقـر وشقاء ، وبما تزكى فى قلوبهم على الرغم من ذلـــك مـــن الأمـــل والمرح ، هذا القصر وهذا المنزل الضئيل متجاوران ليس بينهما إلا خطوات يمكن إحصاؤها ، وينسى الأدباء أن الله تعالى قال : ﴿ **قـــل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم مـن شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ [1] .

ويقول العميد : وأنت واجد فى القصة إلـــى جـــانب تصويـــر الحياة السياسية والاجتماعية تصويرا آخر أجدر منه إمعانا فى الجدة والطرافة والغرابة جميعا وهو الهوى الذى يلغى الفـــروق والآمـــاد السياسة والحياة الاجتماعية وإنما يلغى فى طريقـــه كمـــا تقتضـــى القصة يهدأ حينا ويعنف حينا آخر ، ويستقيم مرة ، ويلتـــوى مـــرة أخرى حتى ينتهى إلى غاية بعد خطوب أى خطوب ، وبعد عبـــس

---

(١) سورة سبأ آية : ٣٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالقلوب وتعذيب للنفوس وإرهاق للأعصاب وامتحان لقوة الإنسان على الصبر والجهاد ، والتغلب على العقبات الكأداء حين يتلو بعضها بعضا وتجعل حياة الناس جحيما لا يطاق .

وفى القصة صور لتحرير النفس الإنسانية وأهوائها وعواطفها وآلامها وآمالها ، ودخائلها الملتوية المعقدة ، وأسرارها التي تكاد تخفى حتى على الضمير نفسه والتي تدفع الناس إلى العمل والأمل دون أن يعرفوا لم يعملون ولم يؤملون ، والقصة تنتقل بين بيئات مختلفة متفاوتة أشد التفاوت ، فأنت فى هذه الضيعة بين القصر المنيف والكوخ الحقير .

ثم تنتقل القصة إلى بيئة الكليات العسكرية وأساتذتها وطلابها وضباطها وتقاليدهم وعاداتهم وفى القاهرة وفى الإسكندرية وسواحل البحار والصحراء ونهر النيل وحياة البدو بين الرمال والشمس والنجوم ، بيئات مختلفة أشد الاختلاف ، ومعاشرة الناس فى كل بيئة من هذه البيئات تترك آثارا واضحة فى النفس الإنسانية حين ينقلنا صاحب القصة من بيئة إلى أخرى فى رفق وأناة وسرعة وعنف .

وترى فى القصة ألوانا من العلم منها حياة الجند فى ثكناتهم والصلة بينهم وبين ضباطهم .

يقول طه حسين : وقصة الثورة وتاريخ الأحداث التي مهدت لها وما نشأ عنها من تغيير فى حياة السادة والمسودين ، والنظم السياسية والعسكرية والاجتماعية كل هذا أطال القصة إلى حد بعيد

بعيد ، ثم يقسم طه حسين هذه القصة إلى ثلاثة أقسام أحدها قصة الثورة ، وما كان قبلها وما كان بعدها من خطوب ، وهو عرض سياسى لتاريخ مصر المعاصر .

وثانيها : يختص بحياة الضابط المصرى فى بيئته العسكرية

وثالثها : وهو أعظمها امتاعا للنفس والعقل والذوق وهو الصداقة بين الفقير والغنى وكيف انتصرت فى النهاية .

وقد استطاع الكاتب يوسف السباعى أن يصور ما يريد بجدارة وذكاء فى المادة العلمية وحسن العرض فبين تفاوت الناس فى الذكاء والغباء ، والطبقة والمنزلة والعلم والجهل ، والتواضع والكبرياء ، والثقة بالنفس والشك فيها ، والإيمان والفسوق والعصيان ، والطموح الذى يستأثر بنفس الفقراء ويدفعهم إلى الكفاح حتى النصر والفوز بما يريدون ، ويخرجهم من الطور المتواضع إلى طور الطبقة الوسطى التي لا حد لمطامعها .

كما صور يوسف السباعى عبث العابثين أمام المغريات المهلكة وصور الغرام العنيف الذى يذهل صاحبه عن كل شئ وهذا القسم الثالث جدير بقراءة القصة من أولها لآخرها لتعرف أنباء السياسة والاجتماع بطريقة أدبية جذابة مؤثرة .

ويلمح القارئ لهذه القصة استخفافا بالعربية الفصحى وازدراء للأعراب . وتورطا فى جهالات لغوية لا تخطر لقارئ ولا لكاتب على بال ، وكأنه رمى باللغة فى أولها وتجاهلها فى آخرها ، أو ربما تكون القصة قد رزقت بمن يصحح صدرها فقط ، وربما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون الكاتب قد سئم فأرخى لقلمه العنان غير عابئ بخطأ أو صواب وربما يكون قاصدا هجوما على الفصحى ليغرى الآخرين بذلك.

يقول العميد : وهذا إهمال يشين صاحبه ويحقر قصته ويسيء إليها ، وفى آخر القصة نرى أحداثا عنيفة يتبع بعضها بعضا فى سرعة خاطفة ، دماء تسفك وضربات فى العمود الفقرى وفى العظام عامة ، ورصاص ينطلق بغير حساب ، كل هذا يهبط بالقصة من منزلة كانت رفيعة إلى منزلة لا أحبها لكاتب مجيد كالأستاذ يوسف السباعى .

مع يوسف غراب :

قال الدكتور طه حسين : إنه قرأ كتابين لأمين يوسف غراب هما : (يوم الثلاثاء) ، و (أرض الخطايا) فرأى أن الكاتب يعرف لغته حق المعرفة ، ويحسن التصرف فيها بلا مبالغة أو تكلف أو تصنع .

لا يخرج عن هذا إلا حين يروى نكتة عامية ، أو يدير الحوار بين اثنين من أهل الريف ، رجالا كانوا أم نساء ، فأما حين يعرب عن ذات نفسه فهو يؤدى ما يريد بلغة نقية ، وأسلوب يحسن تخيره مع أسلوب رقيق وتشبيه دقيق ، يترك فى النفس أروع الآثار .

والكاتب يشتق أحاديثه من الحياة اليومية ، فيرفعها من الواقع المبتذل إلى مجالات الأدب الرفيع ففيها عبرة وعظة ، وإثارة لعواطف الرضا والسخط والسرور والحزن ، والأمل واليأس ولكنه ميال إلى التشاؤم ، فهو يجيد تصوير خيبة الأمل والأوهام الكاذبة

التي تدفع أصحابها إلى التورط فى أخطـــاء يســـتحيل إصلاحـــها ، فيعرض صورا لفتية مضطربين بين البؤس البائس والأمل المختلـط حتى يقترف جريمة القتل والسرقة ثم يكتشف أن النقد الذى ســـرقه وقتل صاحبه من أجله كان وهما فهو نقد أجنبى لا يصرف إلا عنـد السلطات التي سوف تواجهه بالقصاص إن آجلا أو عاجلا .

ويمضى الدكتور طه حسين فيقول : إن قصص أميـــن يوســف غراب لا تنتهى دائما بسفك الدماء وإزهاق النفوس ، ولكنها غالبا ما تنتهى بخيبة الرجاء التي لا تقل أحيانا عن ابشع الجرائم ، وأســلوبه فى تصوير خيبة الرجاء يشبه أسلوب الكاتب الفرنسى موباســـان ، وأغلب الظن أنه قرأ ما ترجم لهذا الكاتب إلى العربية وانتفع مـــن كاتبنا العظيم محمد تيمور أعظم انتفاع . ولكنه ليس واقعيا .

ثم يقول : وهو من أبرع الناس فى تصويـــر البـــؤس والشـــقاء والحرمان سواء كان ذلـــك بســـبب ســـوء النظـــام الاجتمـــاعى أم الانحراف الشخصى عن جادة الفضيلة ، ولكنه كثيرا مـــا يجانبـــه الصواب فيصل بقصته إلى غير ما يحب ، وينتهى إلى غير غايته ، وما أكثر ما يضطر أحيانا إلى التزيد والإغراق فى الوصف لا سيما حين يصف مباذل المترفين ، وقد يتورط فى عيب آخر هو تملـــق الشباب وإثارة غرائزه بحديثه عن الشهوة الحيوانية ، بيد أن الأدبـــاء إنما يكتبون لتأديب الشباب وتهذيبه لا لتملقه وإثارة غرائزه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع نجيب محفوظ :

يكاد عميد الأدب العربى يكون فى طليعة القراء فى الأمة العربية كلها ، ويبدو أنه قرأ جميع ما أنتجه الأديب الكبير نجيب محفوظ مثلا الحاصل على جائزة نوبل العالمية فى الآداب .

وفى إحدى قصص نجيب محفوظ (زقاق المدق) حارة صغيرة فى القاهرة بين الأزهر والغورية فيها قهوة شعبية يطرأ عليها الطارئون من الأحياء القريبة والبعيدة ، يطرأ عليها يوميا أشخاص معينون لا يتخلفون عنها مهما كانت الظروف ، وفيها وكالة شعبية وهى تؤدى ثراء عظيما ضخما ، وبها موظفون كثيرون وصاحبها رجل من الشعب يمتاز بالثروة والغنى أنيق الزى وسيم الطلعة ، يخالط أهل الحى ، ويمتاز عنهم بالثراء تغدو به وتروح من الزقاق عربة أنيقة تجرها الخيول ، ولها جرس يسمعه أهل الزقاق فيعلمون غدوه ورواحه ، ولكنه لا يكاد يصل الزقاق حتى يصير واحدا من أهله يأنس بهم ويأنسون به ، ويمتاز عنهم بهدوئه وأناته وشئ من الترفع ليس استعلاء ، وأهل الزقاق يكبرونه لكنهم يرونه واحدا منهم ، يرونه سيدا أو شيئا شبه السيد بينه وبين الذين يسودهم هذه الألفة الأليفة التي تقربه منهم كل القرب وتبعده منهم بعدا شديدا .

وفى الزقاق حانوت حلاق وبائع بسبوسة وفرن خباز تتسلط فيه الزوجة على زوجها تسلطا مدمرا ، وفى الزقاق بعد ذلك بيتان يستأجر حجراتهما الذين يعيشون فيه ، ويقيم فيهما بعد ذلك صاحباهما ، فأما أحدهما فرجل فى الأزهر ولكنه فشل فى الحصول

على عالمية وطابت نفسه إلى هذا الإخفاق فتظاهر بالصلاح فأحبه أهل الزقاق وأجلوه ، واتخذوه ناصحا فهم يستشيرونه حين تشق عليهم مشكلات الحياة .

والأخرى امرأة بلغت الخمسين ترملت منذ عهد بعيد فضاقت بالوحدة فهى تتوق إلى الزواج على استحياء ، وهى حريصة بخيلة كانزة للمال متهالكة عليه ترهق سكان بيتها من أمرهم عسرا ، وفى الزقاق كائن آخر قريب بعيد قد صور القذارة أبشع تصوير قذارة الجسم وقذارة الثياب وقذارة النفس ، وقذارة السيرة وهو شحاذ (أستاذ الشحاذين) يعلمهم المهنة ويتكلف لهم العاهات والآفات ليستدروا عطف الناس وإشفاقهم . وهو يسكن حجرة قذرة ملحقة بالمخبز خالية من كل شئ ينفق فيها النهار كله وشطرا من الليل ثم يخرج فى جوف الليل كأنه إبليس فيطوف على تلاميذه ليأخذ منهم الإتاوة التي فرضها عليهم ويختلف على القهوة فى المساء كل يوم .

رجل غريب الأطوار كان موظفا فى الحكومة وانتهى أمره إلى ذهول متصوف فهو يسمع ما يجرى من حوله من أحاديث ولكنه لا يقول شيئا ، ويزعم أنه هائم فى ذهوله بأهل البيت وبست الستات منهم خاصة فانقطع لها انقطاعا تاما ، ويزعم أنه يجلس فى القهوة بشخصه ولكن روحه غائبة عنها وهذا هو الضلال والفساد .

وأهل الزقاق يرونه وليا من أولياء الله الصالحين ، يتبركون به ولا يستطيعون الاستغناء عنه بحال من الأحوال ، وكل واحد من السكان قصته التي تصور مزاجه وأخلاقه ومواطن الخير والشر فيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هؤلاء الذين عرفناهم فى أول القرن فى الأحياء القديمة فى القاهر
يختلفون إلى المدارس كارهين لها حراصا مع ذلك عليها ، ويعبثون
فى الطريق بينها وبين الدار ويتفكهون حين يتاح لهم ذلك بالوقوف
عند بائع البسبوسة وتأتلف عقولهم الناشئة من هذه الأحاديث
المتضاربة التي يسمعون بعضها من مدرسيهم فى المدرسة وبعضها
الآخر من أمهاتهم وإذا عادوا إلى بيوتهم ، ويرى طه حسين أنه
قصة رائعة عجيبة حقا وتستحق تقديرها حق قدرها وتدل على أن
نجيب محفوظ موهبة قصصية رائعة حقا .

طه حسين وشوقى :

كان نقد الدكتور طه حسين لأمير الشعراء أحمد شوقى أخف وطأة من نقد العقاد له ، كره طه حسين قول شوقى فى نوت عنخ آمون مثلا :

قفى يا أخت يوش خبرينا أحاديث القرون الغابرينا
ولدت له المآمين الدواهى ولم تلدى له قط الأمينا
تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقينا
وأخذك من فم الدنيا ثناء وتركك فى مسامعها طنينا
فناجيهم بعرش كان صنوا لعرشك فى شبيبته سنينا
وتاج من فرائده ابن سيتى ومن خرزاته خوفو ومينا

فقال إن كلمتى الدواهى والمآمين فيها بنو ، والبيت غامض وكلمة قط غير حسنة وليس من الحق تشبيه الفراعين بالمأمون '

وليس من الحق أنه ليس بينهم من يشبه الأمين ، وليس من الحـــق التقليل من شأن الأمين .

وأكاد أخشى أن يكون الشاعر قد ظلم الأمين كما ظلمه الـرواة ، ولفظ الطنين قلق فى موضعه لا يتناسب مع صدر البيـــت ، وهـــل يوضع الطنين الخامل الضئيل بجوار الثناء الذى ينطق به فم الدنيا ، ونظم أسماء الفراعنة فى بيت غير حسن .

طه حسين وحافظ :

وكان نقده لحافظ هادئا أيضا ، بقول طه حسين عن قصيدة حافظ فى مدح الملك فؤاد التي مطلعها :

أقصر الزعفران لأنت قصـــر خليق أن يتيه علـــى النجـــوم
قضيت به الصلاة فكاد يزهـــى بزائره على ركـــن الحطيـــم

فهل تجد فى البيت الثانى معنى طريفا أو وصفا رائعا ، وهـــل فى هذه المبالغة شئ من الجمال ؟

ويقول : وأساء حافظ أيضا فى إحدى مبالغاته التي يصف فيـــها النهضة التي جاءت بعد خمول طويل ، يقول :

أفقنا بعد نوم فوق نوم على نوم كأصحاب الرقيم

يقول، الدكتور طه حسين : فهل تجد جمال فى تكرار كلمة النوم ؟ أليس البيت شبيها بقول القائل :

قل للنوى جذ النوى قطع النوى
كذاك النوى قطاعة لوصالى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد قيل : إن الأصمعى لما سمع هذا البيت قال :لو سلط الله على كل هذا النوى شاة فأكلته [١] .

وهذا دليل على رداءة البيت وصنوه بيت حافظ السابق .

وبعد :

فقد كان أعلام النقد العربى الحديث مبتكرين حقا وعلى رأسهم علم العلماء وكاتب الشرق الأكبر عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد .

وعميد الأدب العربى الأستاذ الدكتور طه حسين كوكبان ظهرا فى سماء الأدب العربى وماتا وستبقى آثارهما شبيهة بآثار الجاحظ وعبد الحميد وابن العميد رحمهما الله تعالى رحمة واسعة

❁ ❁ ❁ ❁

❁ ❁ ❁

❁ ❁

❁

---

[١] حافظ وشوقى ، طه حسين ص ١١٢ .

الخاتمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لـــولا أن هدانـــا الله ، وصلى الله وسلم وبارك على خير ناطق بلسان عربى مبين ، الـــذى لم يعلمه الله تعالى الشعر ، ولا ينبغى له إن هو إلا ذكـــر وقـــرآن مبين .

بعد هذه الجولات مع النقد الأدبى الحديث التي شملت حديثا عن نشأته وفنونه ومسيرته بين الأمس واليوم ، والهدف العام مـن الأدب والنقد ، يحق لكاتب هذه السطور أن يرفع أكف الضراعة إلـــى الله عز وجل فهو الموفق والمعين لتحقيق الفائدة من هذا الجهد بقدر مـــا يعلم من إخلاص فى كتابته . فقد عرض هذا البحث إلى أهم قضايـــا النقد الأدبى الحديث عرض للشعر والنثر وللقصة ، وأهم الدراســـات التي دارت حولها وعرض شيئا من القصص الحق ، قال تعـــالى : ﴿ **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثـــا يفـــترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقـــوم يؤمنون** ﴾ .

وعرض للمذاهب الأدبية والنقدية الحديثة الوافدة علينـــا مـــن الغرب وبين موقف الناقد المسلم من كل تلك المذاهب وبين قيمتـــها الأدبية والفنية والنفسية والخلقية .

كما أشار إلى أهم المدارس النقدية الحديثة فى العالم العربـــى الإسلامى ، وبين أعلام هذه المدارس ، والجهود التي قدموها إلـــى الأدب العربى فى عصرنا هذا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كانت الآداب العالمية يفيد بعضها بعضا ويأخذ بعضها من بعض فإن الناقد المسلم والأديب المسلم فى عصرنا هذا أحوج ما يكون إلى التسلح بدينه وتراثه العربى قبل الخوض فى مجالات الأدب والنقد على مستوى العالم كله وذلك حتى لا يتعرض للتلاشى والذوبان فى آداب الآخرين ، وهى بلا شك لها طبائع وأخلاق واتجاهات تختلف عما هو معروف لدى المسلمين . فإذا ما تسلح دارس النقد الغربى مثلا بما أوحى الله تعالى به إلى نبيه ﷺ أخذ من النقد الغربى النافع وترك الضار لأن منه جوانب لا تزيد عن كونها ركاما يجب إحراقه بالنار . ومنه جوانب أخرى نافعة ومفيدة ، يجب أن يستفيد منها الدارس المسلم ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، ﴿ **ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾